أشرف مصطفى توفيق

جَاسُـــــو

(رواية)

جَاسُو (رواية)

أشرف مصطفى توفيق

الطبعة الأولى
2016

التنسيق الداخلى والإخراج: إسلام الحماقي - 01156292096

رقم الإيداع: 2015/27014

ISBN : 978 - 977 - 6472 - 21 - 1

دار الفيروز
مكتبات - طبع - نشر - توزيع

ت: 0133212547
7 شارع سيف النصر - بنها الجديدة
01022622814

Dar_al - fairouz@hotmail.com
Facebook: dar.alfairouz

www.fairouzaty.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر فقط وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أى جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر

جَاسُو

أشرف توفيق

(رواية)

الجزء الأول

(فتحت قلبي وللتو سأغلقه.. إلى اللقاء)

قالت الشابة المغربية المهاجرة (36 عاماً)، التي باتت أول امرأة تشغل منصب وزيرة للتعليم في فرنسا "عندما شعر أولئك الشباب بالإحباط في المدارس، بحثوا عن هوياتهم في أماكن أخرى، ووضعوا هويتهم الدينية في الصدارة. ليس أمراً مستغرباً أن تتولد لديهم المناعة ضد قيم الجمهورية الفرنسية".

نجاة بلقاسم

إلماحٌ

وواصل عنبسة بن سُحيم الكلبي- سيرهُ، لفتحِ المسلمين لبلاد الغال: » فرنسا - حالياً» عام 102هجرية ووجد الطريق أمامه خالية، فسار مسرعًا دون أن يلقي مقاومة وصعد حتى أدرك نهر الساءون، فاستولى على أوتون، واستمر في زحفه الظافر، فقذف الله في قلوب الكفار الرعب فلم يتصدَّ أحد منهم للمسلمين إلا لطلب الصلح، واجتاح المسلمون مدينة أوزه، وفيين، وفالنسي، ووصلوا إلى مدينة ليون التي يسميها العرب «حصن لودون»

وهكذا وصلت لليون (حصن لودان) كما سماها أجدادي العرب فى منحة دراسية مجانية، يقطع مدينة ليون نهران هما الروم والسون (السين) ومن هنا كنيتها «مدينة النهرين» ويلتقي النهران جنوبي مركز المدينة ويشكلان مايشبه الجزيرة في المركز.

مركز مدينة (ليون) محاط من الشرق ومن الغرب بتلّيْن: على الأول في الغرب تتركز مؤسسات وأماكن دينية كثيرة من بقايا الشموخ الروماني، بينما يحوي التل الشرقي الكثيرمن ورش الحرير. كانت منحة الدراسة فى

جامعة ليون الكبيرة (Université de Lyon). والأفرع الثلاثة الرئيسية لجامعة ليون هي:

جامعة كلود برنار،

وجامعة لوميير،

و جامعة جان مولان.

والآخيرة هي مكان دراستي حيث يدرس فيها الإنسانيات والقانون.

الفصل الأول:
Université de Lyon
جامعة جان مولان

ففي يوم مطير، كان يومي المائة فِي الْغربَة فِي هَذَا اليوم عبرالْفرنسيون فِي (الْميديا: الصحافة–والتليفزيون) بإنزعاج عن ماقام به الشّهيد الفلسطيني (ساهر حمدالله) بقيادته سيارَة مفخخَة إتجهت صوب مستوطنَة "ميحولا" على بعد 15كم من نهر الأردن، فإنفجرت بين حافلتين عسكريتين إسرائيليتين وصف الفرنسون العمل بالإرهاب؟ وكنّا نحن الدارسين العرب نحس بنشوة الفرح والبطولة كنّا نحنُ وهم كما يقول المثل الصينى "سرير– واحد– وحلمان" وهو مثل يشير لِأختلاف البشر في الأفكار– ولكن هل حلمُ رجل وزوجته أبداً على الفراش بحلمٍ واحد؟! ففي الوقت الذي غير فيه الفلسطينيون طرق النضال من الطوب للرصاص، كنُت أغير طريقتي فى العشق للطريقة للفرنسية؟ وبالطبع كلتا الطريقين وجدا معارضة؟! فكما بدل الشافعي في فقهه عند نزولهِ لمصر بدلت إجتهادات العشق بفرنسا،

أليسَ الإنسان أين بيئتِهِ كما يقول علماء الإجتماع!

قابلت الجزائري"بورحاب".إستقبلني بأهلاً مسيو، وبدأت حكاياته. فهومتحدث لبق ويخلط الفرنسية بالعربية كلما ضاع منه المعنى العربي يرتعش وهو يتحدث في حيوية وهو ضخم الجثة نوع يقول عنه (عباس العقاد) فيماكتب: (يُرى ماشياً كأَنَّهُ راكباً) ينتقل بي من سر الرئيس "فرانسوميتران" الذي إكتشف له خليلة عرفها من عشرين عاماً وأنجبَ منها طفلة؟ إلى اليمنى "حسان التعلبي الذي جاء معه بالقات ولكنّهُ لايجد وقت القيلولة الحار(للتخزين) فأضربت أحواله؟!.إلى الصراع على الجزائربين الشيوخ والجنرالات (ديسمبر-1991 يناير1992) وكيف هربَ من الموت هناك.دخلنا معاً المحاضرة كانت عن الحالات التي تحتاج لقوانين جديدة؟ كان عُنوان الْمُحاضرَة: (أهميَّة نصوص الرَّأفَة وإيقاف التَّنفيذ فِي التّشريع الْعِقَابِي) تحدثت باختصار عن نص م17 في مصر وكذا م55 فِي إيقاف التَّنْفيذ.- كانت تتدخل وتسعفني فتشرح ما أقوله إذا تطلب الأمرالإطالَة كانت لساني فِي غربتي ففرنسيتي لازالت عرجاء..عَلَّق الْمُحاضر(جارودي-مارسل): ليس الأمرمتروك للقاضي فالْمحامي يجب أن يحثه فِي مرافعته ويتمسك بذلك فِي مُذَكِّرَة طَلَباتِه

فالسُّلطَة التّقديريَة[1]* للقاضي هُنَا سُلطَة وَقائِع لا سُلْطَة مُطلَقَة.ولِذا فالعمل بالعدالَة يقتضي معرفَة علم الإجتماع وعلم النَّفس، وليس الْقانون وحده. فالأوراق الْجنائيَّة عندنا بِهَا خانَة لدراسَة الْحالَة تتحدث عن ظروف الْجاني[2]**بيئته، معتقداته فهِيَ تَهْتمُّ به قبل وقوع الْجريمَة، فنحن لا نشعر بغليان الْماء إلا فِي درجَة 100 فِي حين أن الْغليان قادم مُنْذُ درجَة 98 ولو لأتفه الأسباب.؟هل قرأ أحد روايَة (الغريب) لكامي؟ إنّ الْقتل يأتي من مجرد إنعكاس ضوء الشّمْس بقوَّة على عيني بطل الرِّوَايَة، إنه فِي حالَة غليان لا يعرفها النَّص، لأن النَّص الْقَانُونِي يتحدث عند وقوع الْفعل لا قبله

(1) يجوز في مواد الْجنايات إذا اقتضت أحوال الْجريمَة الْمقامَة من أجلها الدعوى الْعموميَة رأفَة الْقضاَة تبديل الْعقوبَة على الْوجه الآتي: عقوبَة الإعدام بعقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤبدَة أو الْمؤقتَة، عقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤبدَة بعقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤقتَة أو السجن، عقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤقتَة بعقوبَة السجن أو الْحبس الذي لا يجوز أن ينقص عن ستَة شهور، عقوبَة السجن بعقوبَة الْحبس الَّتِي لا يجوز أن تنقص عن ثلاثَة شهور.

(2) ويجوز للمحكمَة عند الْحكم فِي جنايَة أو جنحَة بالغرامَة أو بالحبس مدَة لا تزيد على سنَة أن تأمر فِي نفس الْحكم بإيقاف تنفيذ الْعقوبَة إذا رأت من أخلاق الْمحكوم عليه أو ماضيه أو سنه أو الظروف الَّتِي ارتكب فيها الْجريمَة ما يبعث على الإعتقاد بأَنَّه لن يعود إِلَى مخالفَة الْقانون ويجب أن تبين فِي الْحكم أسباب إيقاف التّنفيذ، ويجوز أن يجعل الإيقاف شاملًا لأيَة عقوبَة تبعيَة ولجَميع الآثار الْجنائيَّة الْمترتبَة على الْحكم.

ولا بعده، بغير ذَلِكَ تُصبح أعمال الرَّأفَة ووقف التّنفيذ والاختيار بين الْحَدِّ الأقصى والأدنى للعقوبَة درب من التّخمين؟!

كان البرفيسور «ساجان» يطلب منا المشاركة وإستلهام الحلول مستفيداً من تعدد جنسيات الدارسين وتعدد القوانين.قال بمرح: المرأة تقلب علينا المنضدة منضدة القانون، وأحياناً منضدة الفضيلة أما كيف؟ فهذا ما سنعرفه وعلينا أن نجد حلا؟! فهي تريد أن تكون أُماً، بأيّ شكل وبأي علاج.رضي القانون أوسخط إتسعت رحمة الدينا أوإنفتحت أبواب جهنّم.فبعد حريتها الجنسية إصطدمت بحاجتها البولوجية للأمومة؟! وعرض لحالات تحدثت عنها الصحف الفرنسية:

#كورين (22سنة): أرملة لضابط فرنسي أحبته ثلاث سنوات وفجأة إكتشف"أَنَّهُ مصاب بالسرطان في البروستاتا»: وكان لابد من إستئصالها لقد أصبح عاجزاًعن الإنجاب، ولمّا كان قبل ذلك يقوم ببعث حيواناته المنوية إلى أحد المراكز الطبية بإنتظام ليعرف سبب عدم إنجابهِ قبل إكتشافهِ المرض.فبعد موته لجأت أرملتهُ كوين إلى المحكمة تطلب إسترجاع هذه الحيوانات المنوية وإنّها من حقها، ولإن المركز الطبي رفض أن يسلمها هذه الحيوانات لأنّ الفقيد لم يوصى بها لأحد ولكن حكمت لها بذلك أحد محاكم باريس، وحصلت على الحيوانات الخاصة بزوجها وبدأت تفكر

في الإنجاب بالتلقيح الصناعي من هذه الحيوانات؟ ووجدت الحكومة الفرنسية نفسها محرجة؟ فلاهي تستطيع أن تمنعها من هذه العملية ولا تستطيع أن تخرج على قانونها الذي ينص على: "أنه بعد وفاة الأب بثلاثمائة يوم إذا أنجبت زوجته أُعتبرالإبن غير شرعي"..ولازالت هي تحوز المنى وتهدد به الجميع وترى أن أمومتها أهم، وتقول ماذا أفعل تأخرت قضيتي بين المركز الطبي والمحاكم أكثر من ثلثمائة يوم؟!

أعلن رجل"جون مونرو" أنَّه في حاجة إلى أم تقبل أن تحمل منه عن طريق التلقيح الصناعي ولها مكافأة مالية كبيرة إذا وافقت ،ومكافأة أكثر إذا حملت وإذا ولدت وأعطته هذا الطفل ليسعد به هو وزوجته؟! كانت لهذا الرجل زوجة قد أجهضت مرتين ثُمَّ إتفق الزوجان على أن يكون لهما طفل عن طريق التلقيح الصناعى بواسطة امرأة أخرى- وجاء الرد بموافقة سيدة تعمل في هيئة طبية لتحديد النسل ومتزوجة!حملت صناعياً وولدت وعندما تقدم الأب البيولوجي للأم الوالدة بالنيابة رفضت أن تعطيهِ الطفل؟ فهي أمهُ وقالت هذه الأم في المحكمة عندما فكرت في الحمل كان دافعي إنسانياً ولكن بعد أن حملت شعرت بلذة الحمل وولدت وشعرت بالآم الوضع وعندما رأيت الطفل أحببتهُ فهو إبني ولن أعطية لأحد والقانون لايعرف إلا أبا واحداً فهو الأب الشرعي وليس الأب البولوجي فالطفل إذن إبن هذه السيدة وزوجها. وقد طلبت المحكمة من الأم أن تسمح بإرسال

بعض الصور للطفل لوالده البولوجي والأب الشرعي ليس راضياً تماماً عن هذا الطفل، رغم قبوله أموال الأب البيولوجي وإنفاقها؟والأب البولوجي تعيس تماماً لهذه المأساة ولكن الأم الحامل بالنيابة هي الأم الحقيقية.إما الزوجة الأخرى فلا تزال تفكر فى الأمومة؟!

هنا إنشقت الأرض وصل أبو رحاب لمنصة البروفيسر وقال: عندي الحل نطبق الشريعة الإسلامية: الولد للفراش، وللعاهرالحجر؟!

وتكهرب الجو وسمح البروفيسر له أن يقدم إقتراحه مكتوباً، ففرنسا العلمانية لاتسمح بذلك داخل الجامعات.

اشتقتها..بحثْتُ بِعَيْنَيَّ عن ركن بعينه يذكرنى بها.هذه الْمرأَة الْمنفلتَة من النَّص كانت من هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ" كازينو الساحر" بالمغرب هَذَا الشّاطئ يقصدنه النِّساء مُنْذُ الزمن الْقديم، يأتين ليُغطسن أجسادهن سبع مرات فِي موجات سبع طلباً للزواج، أورغبَة فِي الإنجاب السريع.؟!

وكنتُ من أسوان حيثُ ينتشر بين النِّساء إعتقاد راسخ بأن تمثال (مَن) إله التّناسل عند الْفراعنَة. والْموجود فِي جزيرَة (الفانتين) ينطوي على قدرَة خارقَة تتجلّى فِي إخصابه للنساء الْعاقرات وهُنَاكَ طقوساً خَاصَّة تتبعها كل امرأَة قبل الزيارَة، حيث تقوم سيدَة أخرى بتشريط كعب قدمها بالْموس

حتَّى تنزل منه الدماء وتقوم بوضع (مستكَة ومحلب وجادي وشبة) فِي مبخرَة وتخطو عليها السيدَة سبعَة مرات ثم تنطلق إِلَى الْجزيرَة، فتركب الْمركب وتعبر به النَّهر شريطَة أن لا تتحدث مَعَ أحد على الإطلاق أثناء الذهاب والعودَة حتَّى تعود إِلَى منزلها وتلتقي بزوجها؟!

وفي طريق الْعودَة يقولون: تكون فِي نظرتها جرأَة الْمرأَة الَّتِي تعلم الصبي كيف يعرف ذكورته..فلقد أعطاها الإله الخصوبة وما الرَّجل إلا فرصَة لعمل أعجوبَة الْقدر؟!كنا من أرضين يمتلكا غيباً محوجاً بالأساطير؟!

جمعتْنا قليلا قاعات الدَّرس..وكثيرًا الصُّدَف!!أنا فِي مِنحَةٍ دراسيَّة قصيرَة أبحث عن صحيح النَّص الْقانونيِّ (ظاهِرهُ وباطنه) وهي فِي دراسَة مُعَادِلَة لِتَعملَ كَمحاميَّة بفرنسا، هِيَ تبحث عن مكامِنِ ضَعْفِ النَّصِّ وأنا أُقَدِّس النَّص ولا أَخرُج عليه بِحُجَّةِ ضَمَان النِّظام واستمرار حركَة المجتمع وهِيَ تتحايل عليه، تلاعِبُه لا مانع عندها من الإفْلات من قسوته، فهِيَ لها أيضًا مصالحُها، والغريبُ أنَّ النَّص يسعُنا ويعطِينا ولا يتمَلْمَل! ولسْنا إلا وَسَائِل لِيُجْرِيَ الْقَدرُ المشيئَةَ – مَنْ يُدانُ ومَن يُفلتُ.

جأت من هُنَاكَ حيث الْحياَة بلون الْبحر، منذُ حضوري لجامعَة ليون إحتوتني وكأَنَّهَا فِي الإنتظار، صاحبتى تلهو في باريس بعيداًعن أزقة المغرب الضيقة وعيون حاراتها الواسعة المتلصصة؟!ما كنت أمشي معها

في الشارع العام وهي بجانبي من دون أن تضع يدها حول وسطى أصرخ مبتعداً عنها مجنونة، نحن في الشارع العمومي ألا ترين الناس؟! تلتصق بي وتقول: إنّهم لا يرون شيئاً.لاأحد ينظر إلينا، تلفت نظر الناس عندما تبتعد عني!وأنا أشهق رغماً عني، وألتصق بها، نبحث عن باب أول عمارة أمنة تصادفنا أجذبها فيها إلي؟! بداية كنت مضطرب، وبمرور الوقت تعودت، وصارت تمشي إلى جانبي عيناها تبحثان معي عن أي مكان يمكنني فيه أن أقبلها وأتحسسها..نلهو بالروايات وتفكرني بماقاله محفوظ فى السراب (أفضل شيء أن تلاعب فتاة تحبها)..

كانت وحيدَة "مقاطعة" من الدارسين الْعرب، لأنّها لا تضع حاجزاً بينها وبين الدارسين اليهود، دخلت إليها، حنينها كساني جنوناً.فهل إلتقينا أم إلتقى الجنوب بالجنوب؟!

جأءت في الموعد عقب المحاضرة، حينما نظرت إليها كانت لا تزال فِي نظرتها جرأَة الْمرأَة الَّتِي تُعلم الصبي كيف يعرف ذكورته فيرفع جلبابهُ يالا(فتنة الأسطورة)؟! فقررت ألا أُعاتِبها على مصاحبتها اليهود كعادتي، ولكنَّها جاءت مقررة أن تسكت حتى عتاب نظراتي بعد ماسمعنا اليوم عن النقلة المؤثرة في نضال الفلسطنيين: من الطوب للبارود. فَسَّرت لي موقفها الْمختلف بعبارَة: كُلنا دارسين لا فرق بين جنسٍ أو عقيدَة أو جِنْسِيَّة، لسنا

محاربين؟!

ثمَّ أوضحت التّفسير"الفرانكفونيي: (لليهود فِي فاس حيهم الخاص وللوصول من بيتنا إليهم لا بد من نصف ساعَة بالتّمام واليهود يشبهون سائر النَّاس فِي ثيابهم الطويلَة الشّبيهَة بجلابياتنا، وهم يضعون قبعات بدلاًمن الْعمائم، وهذا كل شيء. وهم منصرفون إِلَى أعمالهم ويلزمونَ حيَّهم ومنظمون جداً وإحساسهم بالطائفَة أكثر نمواً من إحساسنا يصنعون حليا بديعَة!! وتصنع النِّساء محفوظات من الخضار بالخل وقد حاولت أمي أن تفعل مثل ذَلِكَ بالْكوسا والخيار والْباذنجان الصَّغِير لكنَّها لم تنجح قط!أتعرف كيف وصلوا إلينا فِي مراكش..ومتى؟ كان ذَلِكَ أثناء إحتلال إسبانيا، حول الأمويون الأندلس إلى جنَة وارفَة الظلال وبنوا قرطبَة وأشبيلية.ولحق اليهود بهم.لماذا وكيف؟! قد يَكُون السبب الرَّئيسي أن الأمويين الْمسلمين عصبَة من محبي الْفرح، الخلي الْبال، والذين تلهوا ببناء قصرخرافي "الْحمراء" قضى الْعرب فِي الأندلس سبعمائَة عام وهم يلهون بتلاوَة الشّعر وملاحظَة النَّجوم فِي حدائقهم وكانوا متسامحين إلى حد أنّه لم يكن يعرف ما ديانَة الْجار؟ وكان النَّاس يُغَيِّرون عقائدهم كما يغيِّرون قُفْطَاناتهم؟! ويوما إستفاقَ الأطلس الْعربي لنراهم يغدون علينا بالْمئات الْعرب واليهود وهم يصرخون من الخوف ومفتاح بيتهم الأندلسي بيدهم؟! كانت تطاردهم ملكَة مسيحية متوحشَة خارجَة رأسا من الثلج

إسمها "إيزابيل" لقد ركلتهم ركلَة حقيقية.وقالت لهم: إما أن تصلوا مثلنا وإما أن نرميكم فِي الْبحر.؟!لكنّها فِي الْواقع لم تترك لهم وقتا ليجيبوا! وألقى جنودها جميع النَّاس فِي الْبحر الْمتوسط وسبح الْعرب واليهود حتَّى طنجَة (إلا الذين أتاح لهم الْحظ أن يعثرواعلى سفينَة) وأسرعوا إِلَى فاس ليختفوا فيها (كل ذَلِكَ قبل أكثر من خمس مائَة عام) إيزابيل الْكاثوليكية طردت الْمسلمين مَعَ اليهود لأَنَّهم لا يصلون بالطريقَة الَّتِي تصلي بها؟!)

قالت- أتريدني أن أفعل ما فعلتْه «إيزابيل»؟

جاء الجزائري"بورحاب" وبدأت حكاياتة..

أقول: أتريد قهوَة؟

فيغرد بصوت أجش: » يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة.؟!

تقول زبيدة: إلا القهوة إنَّها مشروبُ المنازل، الصينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام «وش» وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح.فإذا رفعت الْفنجان ترشف الْبن.المر تتناول معها التّمر.وإذا إحتجت الْماء. رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف للماء الْورد..

يرد الجزائري: أهي قهوة أم هوى؟ إنَّهم بالمغرب يشربون قهوة أسمهان!

جاءت المشاكل كالعادة مع بورحاب، إلتف حولنا جمع من الفرنسين

والدارسين العرب يستفسرون منه عن معنى: الولد للفراش وللعاهر الحجر؟ وهو يشرح – تارة بالفرنسية وآخرى بالعربية –

قال: (فالفراش هوالزوجية الصحيحة بين الرجل والمرأة..فإذا حملت ينسب حملها لزوجها، والأصل حمل الناس على الصلاح والإستقامة، فإن كان العكس– فللعاهر وهو من زنا بها – الحجر، أي العقوبة المقررة بالشرع سواء الجلد أو الرجم، ويبقى نسب الولد لأبيه من العقد الصحيح.)

ليتلقى السخرية من الفرنسين في أن يكون ذلك حلاً لفرنسا؟!

ويرتفع الصوت مع هرج ومرج،

ويقول لهم بورحاب: العرب في الجاهلية والإسلام لايعرفون الأبناء الغيرشرعيين كما تعرفوهم، ولكنَّكم تُتقننونَ الدعارة، ولا تستجيبون للإتحاد الأوروبي الذي طالبكم ب "إتخاذ التدابير الضرورية لعدم تشجيع الظاهرة وتقليص الطلب عليها الذي يكرس جميع أشكال الإستغلال" البلدان الإسكندنافية كالسويد والنرويج وفنلندا، إتخذت تدابير بفرض غرامة مالية قدرها 1800 دولار على من يأتي العاهرات.

وهم يضحكون ففرنسا العالمانية تقدس الحرية يقولون له: "حاجاتنا الجنسية والقانون لا يمكن له أن يحرمنا منها".. وبدأ إتهام ال٪8 من سكان فرنسا من المسلمين برغبتهم فى إحتلال بلادهم

وهتفوا: تسقط نجاة فالو بلقاسم؟!تسقط نجاة فالو بلقاسم؟!

إستفسرت من زبيدة؟

فتنحت بي جانباً.

وقالت: أنّها وزيرة حقوق المرأة الفرنسية ذات الأصل المغربي وهي تدعم بعض النواب الفرنسين لعمل مشروع ضد الدعارة وأنّ صحيفة "لوفيغارو" الفرنسية أجرت تحقيقاً عن الدوافع التي جرت الرجل الفرنسي إلى أحضان العاهرات.وكانت النتيجة التي وصلت لها الصحيفة أنّ"العاهرات يمارسن الجنس مع الزبائن بشكل لا يمكن للرجال أن يقوموا به مع زوجاتهم».

ولكن كل هذا عبث فالقانون الفرنسي لايتدخل أبداً في حالة الرضى بين رجل وامرأة، صاحبك المجنون (بورحاب) لايعرف أن لكل وزير هنا عشيقة؟! ولكنّهم يحاولون مقاومة مهنة «الدعارة»راجع الْقانون الفرنسى إِنِّي أعرف من يجمع بين أكثرمن واحدَة بفرنسا من عرب شمال إفريقيا والعراقيين، وهم لايقولون بأَنَّهن زوجاتهم هربا من قانون فرنسا الذي يحرم (تعددالزوجات) ويتمسحنَ في الرضى الذي يقره القانون الفرنسي.على العموم تراجعت دعارة الفرنسيات، خلال السنوات الأخيرة، بعدماإجتاحت«المهنة» فتيات وافدات من دول البلقان وشمال إفريقيا ووسطها والصين وجنوب أميركا.

تعالي هتاف فرنسي: عودي بلقاسم للمغرب..حي كليطو بسوق الأربعاء ودوار الضبابة بتيفلت.في إنتظارك

قالت زبيدة: لا مفرمن الإحتفاء بالجسد بدلاً من قمع رغباته.. بدأنا

بالْبِغَاء الْمُقَدَّس وإنتهينا بالْمُخَادِنَة، أوالعشيقَة. وأدرك الرَّجل مُنْذُ الْبدايَة أَنَّهُ إذا لم يكتف بزوجته فإنَّها هِيَ أيضًا لن تكتف به إنها ايام الْمعبد[1]*القديم،

(1) يلحق بالهياكل (في سومر) عدد من النِّساء منهن خادمات ومنهن سراري الآلهَة أو لمثليهم الذين يقومون مقامهم على الأرض (الرِّجَال) ولم تكن خدمَة الهياكل على هَذَا النَّحو الْجِنْسي يعتبر عاراً - وكان على إمرأة من نساء بابل (كما ذكر الْمؤرخون ومنهم هيرودوت) أَن تذهب مرَة في حياتها لمعبد الآلهَة ميليتا (Mylitta) حيث تجلس تنتظر أيّ رجل يدخل إِلَى الْمبعد فإذا أُعجب الرَّجل بشكلها ألقى في حجرها قطعَة من الْفضَة ثُمَّ مارس معها الْعمليَة الْجِنْسيَّة داعيا لها أن ترعاها الآلهَة ميليتا ولم يكن مسموحاً للمرأَة أن ترفض ما ألقي في حجرها؟! فإذا ما إنتهت الْعمليَة الْجِنْسيَّة وإنتهى معها واجبها الديني تركت الْمعبد وعادت إِلَى منزلها!!وقد إستمر الْبغاء الْمُقَدَّس في بابل حتَّى الْقرن الرَّابع قبل الْميلاد، ثمّ أُمر بإلغائه الإمبراطور قسطنطين حوالي سنَة 325 قَ.م وكان أسم آلهَة الْمعبد يتغير من بلد، في بابل كانت الْبغايا الْمُقَدَّسات يخدمن في معبد الآلهَة ميليتا، وفي كل دانيا وسوريا حلت محل الآلهَة ميليتا الآلهَة "عشتروت" (Astarte)، وفي بلاد الْفرس كان هُنَاكَ معبد الآلهَة ميترا (mithra) أرمينيا معبد أنايتيس (anaitis) وعلى حدود بلاد الْعجم معبد الآلهَة أرتميس (artemis) وكانت الْبغايا الْمُقَدَّسات يتألفن من طبقَة الْكاهنات يطلق عليهن (حريم الإله) وإشتهرت في روما في معابد الرَّومان الْبغايا الْمُقَدَّسات لدى الآلهَة برياب وباكوس ومتينوس وغيرها.. ويقول كولن ويلسون: إنَّهُ لا يرى لهذا الْمعنى إلّا أن يَكُون الإله له أعضاء جسديَة وله علامات الذُّكُورَة.؟! الْمهم أن الْعذراء بعد ممارسَة الْجنس تكتسب التّقديس وتصبح امرأَة ومقدسَة في وقت واحد. وقد ظل الْبغاء الْمُقَدَّس موجوداً حتَّى عصرنا هَذَا في بلاد منها: الهند واليابَان وتفتح الْمعابد أبوابها في الهند والسند لإستقبال الْفتيات اللائي يَهبن أنفسهن للآلهَة ويخصص بعض هؤلاء الْفتيات لإرضاء حاجَة الرِّجَال الْجِنْسيَّة (حجاج الْمعبد) وغير مسموح لهن أن يتزوجن؟! من قبل زوار الْمعابد!

ولذا ظهرَ في التّاريخ الرَّجل الذي يصنع لزوجته حزام الْعِفَّة الْحديدي ويُمسك بمِفْتاحِه معه؟!

ولكن لأَنَّهُ خَصَّص لنفسه نساءً أُخْرَيات خارج نِطَاق الزَّوَاج، فهو عاجزعن الإكتفاء بواحدَة؟!

قلت- كان هُنَاكَ عصرٌ يجمع فيه الرِّجَال الْجوارى[1]*اوالإماء وما ملكت أَيْمَانُهم، ورجالنا ورثة هؤلاء العظام؟!

قالت- فإذا كان الرَّجل الْفاضل له الْحق فِي كل ذَلِكَ، فالْمرأَة الْفاضلَة يكفيها زوج أوعشيق واحد؟!ما رأيك أتقبل بهذه الْقسمَة؟!وإن كان الأمرلن ينتهي ففي الْمغرب الآن عندنا ما يعرف بالزَّوَاج الصَّيْفي وهو زواجٌ الْكُلُّ يعرف أنّهّ مُؤَقَّت ولكنّهُ يَصْمُتُ حتَّى لا تَبُور النِّساء والْبنات!هو زواج مُحَدَّد الْمُدَّة يحل مشاكل الرَّجل الْغَنِي، و الْمرأَة الْفقيرَة مَعَ وجود

(1) وليس من قبيل المصادفة أن نجد ترحيبا بالغواية من المترادفات التى تشعرك بأنهم يجدون لذة ومتعة وهم يرددونها بينهم منها على سبيل المثال: المباضعة، الملامسة ؛ المضاجعة؛ المباطنة ؛ المعاسفة ؛ المجامعة المراودة ؛ المباشرة ؛ المخاذنة ؛ المناكحة، والمواقعة، وهو يعني اشتراك طرفين في الإتيان بالعمل؟!
بخلاف مصادر أخرى مثل: الرفث واللمس والإتيان والركوب والاعتلاء وهذه. الأخيرة تركز على دور الرجل وإبرازه فهو الذي يرفث ويلم..ومن المعلوم أن اللغة هي التعبير الأمثل عن حالة المجتمع التي تنبثق منه رقياً وانحطاطاً وهي أبلغ دلالة وأفصح إبانة من الملابس والمباني وغيرها.

هَمِّ الْعُنُوسَة الْقابع على أنفاس حَرِيم الْمغرب..وهاهم الفرنسون يعايرون المغرب بأحيائها الفقيرة حيث الفقر وبيعَ الجسد- كليطو بسوق الأربعاء ودوار الضبابة بتيفلت؟! ستظل فرنسا طول الوقت عنصرية.حتى لونجحت فى الحد من الدعارة.

قلت: حَلُّ الْمُشْكِلَة الْجِنْسِيَّة لا يستطيع أحد قولَه، ولا كتابته!

قالت: العصور تُوجِدُ لنفسها تِقْنيَّة سرِّيَة بأشكال متعددَة لتجديد الْغرام؟!

تحَرَّكَ الْعقل الْقَانُونِي؟!الْقانون الْفَرَنْسِي لا يتدخل إلا عند الإعتداء على الْحُرِيَة الْجِنْسِيَّة.وفي حالَة الرِّضا يُتْرك الأمر لدائرَة الأخلاق – الأمر مُطَمْئِن!! الإغتِصَاب هو اتِّصال رجل جِنْسِيًّا بامرأَة دون مُساهمَة إِرَاديَّة من جَانِبِهَا – فإن رَضِيَت –لا شيء فِي الْقانون؟ إنطلق لساني الْفَرَنْسِي الأخرس فِي داخلي أليس إعتداء على شرفها؟ ردت رغبتي الْمُتَرقّبَة: الشَّرف مفهوم أخلاقي لا قانوني.الرِّضَا هُنَا قرين الْحُب الْقانون علم تجريبي إنساني فكيف يغفل الْحب!! تساءلت: هل ينتهي الْحب عندما

تنتهي الْحكايَة؟!أم أنّهُ يُشبِه الأرابيسك الَّذِي يشتغل على وحدَة رئيسيَة يعيد إنتاجها على إمتداد مسطح الْعمل كله

شعرت بأني تخلَّصتُ من الْجمل الْمبالغ فِي التّأقلم مَعَ الصحراء

الْقاسي مَعَ نفسه فِي فَهْم نصوص الأقدار تخلَّصْت من حياءِ الْجِمَال الَّذِي تأخذهُ عليَّ الْمغربيَّةُ السَّمْراء، فالْكلام واضح ولا حَيَاء فِي الْقانون ولا فِي الْعُيون.فالجَمَل الَّذِي لا يأتي أُنثاه إلا فِي خلوَة رغم رحابَة الصحراء يحتاج لمُرَاجعَة الْقانون الْفَرَنْسِي والإستسلام للقوَّة النَّاعمَة والأقدار النَّاعمَة!!

فلماذا أنا عاجز تمامًا عن أيِّ مُلاطفَة لها وسيِّئ فِي إختيار الْمقعد الْقريب منها الَّذِي يسهل لها ممارسَة نَزَوَاتِها أوأُمُومَتها؟ فلم تكن زوجَة ولم تكن أُم، ولكنّها من فقهاء قانون الْمدرسَة اللاتينيَّة!

الفصل الثانى
(Holy Grail)

الأماكن كلها مشتاقة لك

والعيون إلي أنرسم فيها خيالك

والحنين إلي سرى بروحي وجالك

ماهو بس أنا حبيبي

أَصْبَحْتُ أمام المكان المسمى بالكأس المقدسة بجنوب فرنسا رصد بعض المؤرخين والكتاب حياة المجدلية وكتبت «لين بينكت» في كتابها مريم المجدلية: (أن السيدة رحلت إلى فرنسا، التي كانت تسمى بلاد الغال وقتها، ولا يعرف الكثير عن فترة وجود المجدلية في فرنسا، وإن كانت الحكايات المتواترة عنها أنّها وضعت هناك إبنتها من المسيح ولكن الحقائق المؤكدة تقول إنّه بحلول القرن الثاني عشر والثالث العشر الميلاد كما رصدت(سوزان هيسكنز) في مؤلفها حول المجدلي [زيادات بشكل ملحوظ فى أعداد الحجاج الذاهبين لزيارة ضريح مريم المجدلية في (فيزالي) بجنوب فرنسا،] والمثيرأن العديد من الرسائل البابوية من الفاتيكان والتي أصدرها الباباوات لوشيوس

الثالث، وأوربان الثالث، كليمنت الثالث، قدأكدت جميعها بشكل رسمي أن جسد المجدلية مدفون بالفعل في فيزالي، إلاأنّ أحد منهم لم يفسر على الإطلاق كيف إستقرت جثة المجدلية هناك؟!)

بحثْتُ بِعَيْنَيَّ عن ركن بعينه يذكرني بها، كان المكان ممتلئًا بالنَّاسِ من كُلِّ بِقَاعِ الأَرْضِ شمال إفْرِيقْيا، لِبْنَان بعض أَهْل الْخَليج وكَثْرَة عِرَاقِيَّة وَسُورِيَّة..أَشْعُرُ في قِلَّةِ الْمِصْرِيِّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ.لَكِنِّي تَذَكَّرْتُهَا فَشَعَرْتُ براحَة لاأعرف مَصْدَرها كان وجودُها معي يجعلني أتحَدَّى غُمُوضَ الأماكن الجديدة جمعتني بهاالدراسَةُ والصدف؟!

الْمَكَان بِزجاجه الْملوَّنِ وبديكوره الْبسيط يُوحِي بأزمِنَةٍ أُسْطوريَّة مشربيَّات بالأَرَابيسك الْمُتداخل عَاشِق ومَعْشُوق مشكاوات مُتناثِرَة هُنَا وهُنَاكَ، قُلَل فخَّاريَّة تخرج منها إضاءَة خَافِتَة تَتَلوَّن بلَوْن جَوْف الْفخَّار فترى كل ألوان قوس قزح، الأحمر يتداخل بالأزرق، والأصفر يطل من الأخضر..النِّساءُ كثيرات بجَمالِهنَّ وأناقَةِ مَلابسِهنَّ الْعَاريَةِ عفويَّة جِلستُهُنَّ تُظْهِرمِن أفْخَاذِهن أكثر بكثير مِمَّا تعوَّدْتُ فتُعْطِي الْمكانَ مَذاقَ الْمُعاصَرَة، وليس عراقة وعتاقة الدِّين؟!

الأمر مجرد (سياحة صرفة) تعتمد على أساطير وميثولوجيا (مسيحية) وليس على حقائق دينيه! أونصوص إنجيلية وكيف لا. ونحن فِي فرنسا – العلمانيّة الأوربية المعلنة ولكن ماذا حدث للذُّكور؟!أغلب الْمَناضِد حولها

فرنسيَّات بِدُون رجال؟! حَلَقَاتُ الدُّخَان من فَمِ الْفرنْسيَّات لها تداعِيَات خَاصَّة، هل هذه الْمناضِد (جيتو خاص - أم أنَّ فرنسا تعرِف الْحرَ مْلِكَ الأنثوى المعروف عندنا فى تاريخ الشرق) هل تأتي معشوقتي الحلوة؟وكيف لا تجيء وقد أحضرتُ تبغ النعناع الأخضر؟!

إبتسمت حينما وجدت سجائري (الْمينتول) بلونها الأخضر النّعناعي أشعلت واحدَة..وهي تُرَدِّد: متى تُغَيِّر شعالَة النَّار هذه؟!

قلتُ لها: شيئاً خطيراً أن يغيّر الرَّجل نوع تبغه!!

قالت: لا مفر..إستسلم؟!

من يومها وأنا أدخن سجائر مينتول خضراء... كنتُ لا أدخن السيجارَة بل أدخنها بداخلي. فهل هي مُضِرَّة أيضًا بالصدر؟

تركت يدها في يدي آمنة، فلقد كنّا نبحث معاً عن لحظة البراءة..؟!

إستمرت تحكي عن المكان، والكأس المقدسة،وكل ماتقوله غيب محض بالنسبة لي

قالت: وفي القرن العشرين تم تصويرها في كثيرمن الأفلام الروائية وأخيرًاً صدرت في كتاب روائي باسم: » الدَّم المقدس، الكأس المقدسة» سنة 1982م.وفي هذا الكتاب قدم مؤلفوه الثلاثة الأسطورة، بأسلوب تقديم الحدث التاريخي في صورة رموز وألغاز وأسرار، وحولوا دم المسيح إلى نسل

للمسيح والكأس إلى رحم مريم المجدلية، الذي حمل نسل المسيح وزعموا أنّهُ من المحتمل أن يكون المسيح قد ذهب بعد الصلب مع مريم المجدلية وأطفالهما، التي تخيّلوا أنَّهُ يمكن أن يكون قد تزوجها!! إلى ما يعرف الآن بجنوب فرنسا، وأسسوا هناك سلالة ملكية، هي الميروفينجيان الذينَ حكمواالمنطقة التي تعرف الآن بفرنسا وألمانيا من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الثامن، وكان يشار إليهم أحياناً، بالملوك ذوي الشعر الطويل.

تقول بضحكةٍ خبيثةٍ تشي بمعنى إنّها أيضاً لا تصدق:

(المكان أصبحَ مشهوراً بالكأس المقدسة بعد رواية «شفرة دافنشي» التي كتبت في 2003م ليثور سؤالاً: هل تزوج المسيح بمريم المجدلية؟ وهل أنجبَ منها أولاداً؟ وهل تعيش ذريتهُ حتى هذا اليوم؟!)

قلتُ لها: لم يكن المسيح متزوجاً فحسب، بل كان أباً أيضاً أتصدقين رواية زادها الخيال؟!

قالت: الكتاب الروائي يوثق الحقائق بالسرد، ويتركنا نفكرهل كانت مريم المجدلية الوعاء المقدس؟، وكانت الكأس الذي حمل سلالة يسوع المسيح الملكية؟والرِّحم الذي حمل ورثة المسيحية والكرمة التي أنتجت الثمرة المقدسة؟!هذا الكلام تكرر كثيراً وفضحَ في رواية «شفرة دافنشي» للروائي الأمريكي دان براون التي يقول فيها: (أنّهُ خلال القرون الأولى للمسيحية لم

يكن هناك إعتقاد بألوهية المسيح، ولكن كانت النظرة له أنّهُ نبيٌّ عظيم وقائد فذ وبشر فان، وأنَّ قرار ألوهيتهِ أُتخذَ على يد البشرفي القرون اللاحقة أثناء تأسيس الكنيسة نفسها بشكلها الذي عرفهُ العالم، وبما أنَّ المسيح كان إنساناً عادياً في المقام الأول فقد أحب وتزوّج مريم المجدليَّة وهي نفس السيدة التي وصمتها الكنيسة في مراحل متأخرة أيضاً بأنّها زانية وزعم (براون) على لسان بطل روايته، أنّ المسيح أنجب من مريم المجدلية ذرية ذات دم مقدس؟!

آه يا هي...آه ياعربدَة الْعقل؟!

هكذا قلت تعليقاً على عبث العقل بالأديان تحت مسمى شيطاني: حرية البحث ورحابة الإعتقاد، وسمو الشك، وروعة صدق التاريخ؟!

أخذتُ نَفَسًا عَمِيقًا، من السِّيجارَة الَّتِي توهَّجَت بين أصابعي وأبتلعتُه، رددت عبارة: (إنهُ تلبيس إبليس؟)..تعجبت وقتها بعيناها ولم ترد!

الْمَكَان بزُجاجِه الْملَوَّن وبديكورهِ الْبسِيط يُوحِي بِأزمنَةٍ أسْطوريَة، بَاقي النِّساءِ منَ، الْجِنسيَّات الْعربيَّة مُرْتَبِكَات بين السُّفُورِ والْحِشْمة، مع تدرُّجٍ مِزاجِيٍّ فيما يُظْهِرْنَ من الشَّعر أخَصْلَة تكفي؟ أم حِجَابٌ لا يُظْهِرُه؟! أوإِطْلاقُه على حُرِّيَّتِهِ لِلنَّسِيم ليقول آهاتٍ؟! لقد جئنَ بملابس حشمة تناسب زيارات دينية، فوجدن فرنسا لعوب لا تهتم؟!على كل حال الْفُرجَة والْبحْلقَة أكثرُ إِثَارَة؟!

تذَكَّرْتُ ما قَاله طَهَ حُسيْن فِي روايته (أديب) عن فرنسا بلاد الجِنِّ

والْملائكَة...ولكن هل تنزِل الْملائكَةُ فِي حُضورِ النِّساءِ جاء السُّؤَالُ الْغَبي: هل تنزِل الْملائكَةُ فِي حُضور النِّساء؟! تعليقاً ساذجاً على حكاية مريم المجدالية وزواجها بالمسيح؟!

قالت: مريم الْعذراء كانت ترافقها الْملائكَة، والأنبياء أفضلُ من الْملائكَة التوراَة تقول إن النَّبي داود كان عنده 99 امرأَة وكان مُستعدًّا أن يرسل ضابطًا عنده إِلَى الْحرب على الْحدود بعيدًا لِكَيْ يضم إليه زوجَة الضَّابِط فيُكمِل مائَة امرأَة!! فلماذا لا يكون للمسيح امرأته؟!

لم أُعَلِّق على ردِّها الْمُفاجِىء.والطويل، فلماذا لم أقل لها بأنَّ النَّبِي داود عاتبه الله على عِشقِه الْمِئَوي لأنه نظر إِلَى مُتَع جارِهِ، ولم يشكر على ما عنده فيظَلُّ السُّؤَال مَطْروحًا؟! هل لأنِّي أمسكت يدها وأخذت أعُدُّ الخَواتِم في أصابعها؟!أم لأني مثلُ النَّبي داود لم أكتف يوما بنعجة واحدة، فكيف سيتم عتابي أوعقابي.على كل حال ليس لي فِي الْغرام إلاأقل من عُشْر النبي داودَ؟!

قالت: دعك من..الأهوت، وتمتع بالناسوت، اللَّيْلَة..إستَقْبِلنِي وسأريك كيف يُضيىء عقدي الحجري في الظلام؟!

ضوءٌ أزرق وديع يخرج من نمانم النُّحاس الْموضوعَة بالْمَكَان بتلقائيَّة تُلْقي هُنَا..وهُنَاكَ..أنوارًا خَفيفَة مُرْتجفَة وظِلالا شفَّافَة هُنَاكَ إمتِدَاد تلقائيٌّ لِنَظَري ينتهي عند بِركَة مُتَّسعَة غازلتُها بأنَّ عيْنَيْها بلَوْن بُحُورالْجنَة.. إستفسرت؟!

كانت عيناها عسليَّة وبالجنَّة بُحَورٌمن عسل، قَهْقَهت وأشارت إِلَى شفتها السفلى هل أجد فيها علامَة خروج آدم من الْجَنَّة؟! لم أفهم؟!

فشرَحتْ لي أَنَّهم فِي الْمغرب يعتبرون (الأشرم) من النِّساء ذات الشفَة الْمشقوقَة، امرأَة ساخِنَة لا تهدأ رغبتها؟!وأنَّها قامت بعمليَّة تجميل إتِّقَاء للشُّبُهات!!ولكنَّها تركت ندبَة بشفتها السفلى.وجدتُ نفْسِي أُقَبِّلُها ركَّزْت على الشَّفَة السُّفلي عند مكان النّدبَة أرغب أن تتحقق فتنَة الأسطورَة؟!

كنت أدور فِي فلكها مجذوبًا بقوَّة هائلَة، كأَنَّها الشَّمْسُ وكأَنّني الأرض إعتدلت فِي خجل، وأنا أبتسم.

قلت: كنتُ فِي الْجنَّة أنا مثل أبي الأوَّل آدم..إنَّها جينات الْغوايَة!

إبْتَسمتْ وهي تُغَمْغِم بالفرنسيَّة.أنا لست بقايا الْجنَّة، أنا بقايا الْحريم، كانت بوَّابَة بيتنا تفصل حريم النِّساء عن غرباء الشارع، وكان شرف أبي إرتبطَ بهذا الْفصل كان بوسع الأولاد عبور الْبوَّابَة بصعوبَة أما النِّساء الْبالغات فلا؟!حَلِمَ جميع النِّساء أن يَهِمْنَ على وجوههن بحرِّيَّة فِي الشَّوارع، وكانت حكايَة «الْمرأَة الْمجنحَة» الَّتِي تستطيع أن تطير من الْفناء متى شاءت كلما رُوِيَت فِي الْمغرب، كانت النِّساء يُعلِّقْن أطراف قفاطينهن بزَنَانِيرِهن ويأخذن فِي الرَّقْص، وقد مددن بين أذرعهن وكأَنَّهن ينوين أن يطرن!وقد بذرت إبنة عمِّي «نوَّارَة» الَّتِي بلغت السَّابعَة عشرَة الإضطراب فِي ذهني عندما أَفْلَحَتْ

فِي إيهامي أنَّ للنِّساء أجنحَةً غير منظورَة، وأنَّ أَجْنحتي ستطلع عندما أكبر!!

هَذَا ما إستطعت عليَه صبرًا من فرنسيَّتِها الْجميلَة..أما باقي ما قالتْهُ كان غريباً وأخذتُه إجمالاً؟!وكان يدور حول عدم إعتقادها بأن تكون الْجنَّة مخلوقَة الآن[1]!

قالت: بل الله يُنشِئها يوم الْقيامَة، خَلْقُ الْجَنَّة قبْلَ الْجَزَاء عَبَثٌ غير واقِع على وجه الْحكمَة؟!

(1) فيما بعد تبيّن لي أنّ ما توصلت له بعفويَة الْمنطق هو رأي الْمعتزلَة والْمُرجئَة "من الْفِرق الإِسْلامِيَّة".كما تبيَّنَ لي أشياء أخرى؟! فقد قال أبو الْقاسم الرَّاغب في تفسيره: واختُلِف في الْجَنَّة الَّتِي أُسْكِنَها آدم فقال بعض الْمتكلمين: كان بستانًا جعله الله تعالى له امتحانًا ولم تكن جنَّة الْمأوى لهما، وجعلها دار إبتلاء وليست هِيَ جنَة الخلد الَّتِي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا أختلفوا على قولين: (أحدهما) أنّها في السماء لأنّهُ أهبطهما منها وهذا قول الْحسن. (الثاني) أنَّها في الأرض لأنَّهُ إمتحنهما فيها بالنهي عن الشَّجرَة الَّتِي نُهِيَا عنها دون غيرها من الثِّمار. كما قال أبو الْقاسم الْبلخي وأبو مسلم الأصبهاني: هذه الْجَنَّة في الأرض وحملوا الإهباط على الانتقال من بقعَة إِلَى أخرى كما في قوله (إهبطوا مصرًا) وإحتجَّا عليه برأي (آخر) وهو قول الْجبائي: إن تلك الْجَنَّة كانت في السماء السابعَة! (والقول الأخير) وهو قول الْجمهور: إن هذَه الْجَنَّة هِيَ دار الثواب والخلود بعد الْحساب يوم الْقيامَة.

- حادي الأرواح إِلَى بلاد الأفراح - محمد بن أبي بكر الزرعي - باب بيان وجود الْجَنَّة - ص11 وما بعدها - مكتبَة الْمتنبي- القاهرَة - 1955».

كان شوقها في آخرهِ..قامت فجأة..قم بنا؟!

سألتُ إلى أين؟

قالت: «أنور عينيا حييلي فؤادي» اقولها بلغتنا الامازيغية «أالنور نطيطاوين رييذ أولينو» انا من (امازيغ جرسيف) يعني القسوة..حين لا تجد المرأة رجلا ضارب الدنيا صرمة مثل «يس» فى ثلاثية محفوظ تقوم بنفس الدور..أنا ادعوك للعشاء

قامت وسحبتنى وأنا منوم بجرائتها؟!

عرفت معنى ماقالت فمعناه «يا نور العين أحيى فؤادى»..الغواية*تقف منتصبه، يالا تاريخ الغواية(*)؟! بيئتة نفسى تراها لحظات حظوظ؟ داخلي

(*) غواية الرجل الجميل فى عين النساء وصفها القرآن الكريم فى سورة"يوسف"،وفي اخبارأخرى كانت المرأة في مجتمع"يثرب-الاسلامى" تشترط أن يكون الرجل مليحاً وضيئاً حتى تكتمل لها المتعة ،ويحكى عن امرأة قيل أنها حبيبة بنت سهل الأنصارية وقيل أنها جميلة بنت سلول وقيل أنها جميلة بنت أبي سلول وقيل بل أنها أخت عبد الله بن أبي بن سلول ؛ تزوجت من قيس بن ثابت وهو قصير دميم ويبدو أنها لم تعاينه قبل النكاح (الزواج) فما إن وقعت عيناها عليه حتى كرهته ؛ وحاولت أن تعاشره ولكن نفسها لم تطاوعها إذ مما لا شك فيه أن قبح خلقة أحد الطرفين ودمامته يفسدان على الآخر متعته ولذته وبهجته ؛ فذهبت إلى محمد وأبلغته أنها لا تشتكي من ابن ثابت في خلقه ودينه ولكنها لا تطيقه بغضاً وتكره دمامته ولولا مخافة الله لبصقت في وجهه كلما دخل عليها وأنها تريد فراقه لأن رؤيته تصيبها بالغم والكآبة والابتئاس وكان أصدقها حائطاً أي حديقة.وفي رواية حائطين فسألها محمد

يهمس، هل تهزم امرأَةُ الْعزيزهذه اللَّيلَة؟!كثيرين هزموا الغواية، وأكثرمنهم تمتعوابها، فلأى الفريقين سأكون اليوم وأنا

(انالستلى)..[أنا – لست – لى] فلماذا اطفىء نورها؟

داخلي يهمس، هل تهزم امرأَةُ الْعزيز هذه اللَّيلَة؟!

ما أجمل ما حدث بيننا، ما أجمل الَّذِي لم يحدث، ما أجمل الَّذِي لن يحدث؟!

نافورة باراتولدى «المرأة والأربع خيول»

فى ساحة "تِيريوُكس" أو"تيرو" كما نقول نحن العرب حيث يتوسطهُ نافورة باراتولدى" المرأة والأربع خيول" تعبيراًعن فرنسا،وأنهارها الأربعة – التي بنيت في القرن التاسع عشر. النوريسطع فى ليون كلها، رغم أننا في عز الليل!! ولكنّهُ إحتفال «يوم النور» أجمل إحتفالات ليون، والسياح يأتوا من كل فرنسا ليعيشوا النور حتى الصباح

إن كانت على استعداد لترد عليه حديقته فسارعت تجيب : أردها وزيادة فاستدعى قيساً وفك ما بينهما من عقد النكاح وردت الحديقة) – وفي المقابل نرى أن ملاحة ابن واحد من الصحابة ووضاءته قد جنتا عليه(نصر بن الحجاج بن علاط السلمي كان من أحسن الناس وجه) إذ تعشقه نسوان ذلك المجتمع وتدلهن في حبه وتمنينه فنفى عمر نصراً من المدينة فأأتى الشام فنزل على أبي الأعور السلمي وفي رواية أن عمر بن الخطاب أمر بحلق رأسه فازداد حسنا وجمالا فتضاعف توله اليثربيات به وأصبحت كل يثربية تتمنى التماس به فنفاه ابن الخطاب عن يثرب (المدينة)

- يقولون أن النور يقتل الأرواح الشريرة، ويتوقعون فى اليوم التالي مفاجأة سارة.

-.مع الأطعمة الفرنسية وتسوق الحرير الذي يباع بنصف ثمنه فى هذا العيد

وبرغم حضوري الإحتفال، وشراء شال حريري لزبيدة بمناسبة حصولها على المعادلة وإمكان أن تعمل بفرنسا كافوكاتو.إلاأنّها أفهمتني أنّ الأمر لايزال معقداً، فلا بد من وضع مبلغ معين في بنك (جريت أجركول) الفرنسي، ووجود مكتب محاماة فرنسي يقبلها، وأنَّها سترجع المغرب تتدبر ذلك وستعود لتكون فرنسا محطتها الأخيرة، وأنَّها لها عندي رجاء

قالت: الإستوديو الذي أُقيم فيه بشارع الشعب، والذي جهزتهُ وسأعود إليه، أُريد أن أُحافظ عليه حتى أُرجع، مارأيك أن تنتقل له وتترك سكنك الجامعي؟!على فكرة إجاره ليس كبير؟!

أجل إجابتي إنضمام عصبة لنا كان معهم مفاجأت لعيد النور أكثر إثارة (شيخ الأزهر طنطاوي أعطى لباريس»الحق» في حظر إرتداء الحجاب،)

قال فلسطيني: وعد بلفور جديد وأنتقدَ إصرار فرنسا على تقييد حرية المحجبات في الوقت الذي تتمسك فيه بمبادئ العلمانية والثورة الفرنسية الداعية في جوهرها إلى إحترام الحريات.وأضاف بلهجة غاضبة أن وزير الداخلية الفرنسي نيكولا ساركوزي « إنتزع ما أراد من الأزهر الشريف»،

وأن شيخ الأزهر»من البداية أعطى له الحق، ووافق على قرار فرنسا، وهذا لا يجوز من النّاحية الشرعية أو الوطنية أو من أيّ ناحية، وكان يجب أن نقول لفرنسا وغيرها هل يمكن أن نجبر غير المسلمات لدينا على لبس الحجاب عندنا؟!..وأنّ الحجاب فرض ديني، وليس مجرد شعار[1].

كان لابد أن أنصرف بعد أن بلغ التطاول على مصر مداه لأتورط في طلب زبيدة الذي لا أملك رده، رغم أني لا أطيقهُ؟!

وتوالت مفأجأت (عيد النور) وصلني خطاب.

(1) إعتبرَ الدكتور عبد الصَّبور مرزوق أنَّ أعضاء المجمع وهم "الدكتور صوفي أبو طالب، الدكتور عبد الصَّبور مرزوق، والدكتور طه أبو كريشة، والدكتور نصر فريد واصل، والدكتور محمد رأفت عثمان، والشيخ إبراهيم عطا الفيومي، والدكتور أحمد الطيب، والمستشار جمال الدين محمود، والدكتور محمد إبراهيم الفيومي، والشيخ فوزي الزفزاف" بالإضافة إلى الدكتور علي جمعة مفتي مصر. فوجئوا بما قاله شيخ الأزهر، وأن هذا الكلام لم يتفق عليه (قبل اللقاء)، وبالتالي فإن شيخ الأزهر يمثل نفسه، ولا يمثل الأزهر فيما قاله بأنَّ فرنسا لها الحق في فرض قانون يمنع إرتداء الحجاب" وأشار إلى أنَّ الأعضاء لم يحتجوا على شيخ الأزهر خلال اللقاء "إتباعًا لأدب الحوار، خاصة أنَّه قيل بأنَّ الوزير سيعاود الجلوس معنا بعد لقائه بشيخ الأزهر، وهو ما لم يحدث". وقال الدكتور عبد الصبَّور مرزوق الأمين العام للمجلس الاعلى للشئون الإسلاميةوعضو المجلس الأعلى للبحوث الإسلامية التابعان للأزهر"شيخ الأزهر لم يأخذ رأينا في البيان الذي أدلى به قبل محادثات مع وزير الداخلية الفرنسي الزائر نيكولا ساركوزي.

(إحتاج إليك وأهرب منك وأرحل بعدك من نفسي..في بحر يديك أُفتش عنك فتغرق أمواجك شمسي.والحب قرار والبعد قرار.. وأنا لا أملك أن أختار)

بهذه الكلمات أعلنت زوجتي عن حضورها لفرنسا هي وإبننا علي بعد أن حصلت على إجازة لرعاية الصغيرلمدة سنتين، مقررة الإستفادة من فرنسا في إطروحتهاللماجستير في علم المصريات القديمة، وهي في غيها معتقدة أنَّ فرنسا (مهوسة بالفراعنة) وخلفهم من المصريين غيرمدركه إنَّ (نقابها) يمثل [خرق لعلمانية – فرنسا المتعصبة]وهي لا تدري ماذا فعل ساركوزي؟

قَدمت كَكُلِ النساء تعليلات سطحية لقرارها المتهور، من عينة صعوبة ترك إبننا الصغير عند أمها كل صباح وذهابها للعمل، رغمَ أنَّ هذا كان ساري وقت وجودي بمصر؟!حتى أني عرضتُ عليها فكرة إجازة رعاية الطفل ورفضتها، بحجة أنَّ إمها مرحبة بالصَّغيرعلي وليس ثمَّة مشكلة، ثمَّ كلام طويل عن وضعها المتميز في وزارة الآثار وأشرافها على بعض البحوث.لم يتغير شيءولكن نادتها باريس.إلا أنَّها كالعادة حَشرتُ أمي في الموضوع، متعللة بأنَّ حَمَاتها تلح عليها أن تكون بجوار زوجها..وتلح عليها بألا تترك حفيدها وحيداً فرداً.أَكانت هِيَ الْحقيقَة؟ أم ضجر أُنثوي من رجلٍ تخاف هروبَه؟

إنَّ زوجتي زكيَّة ويمكن أن تطيل التَّركيز وتصل لنتائج ولها فِي

الْمداعبَة والتّهريج والتّمثيل- الأمر ليس يسير- وبخَاصَّة أَنِّي فِي أهوائي لا أعرف الْحذر وأَحياناً أَعيش الْحب كغاية فِي ذاته. ألم تكن «زبيدَة» تقول لِي: أَحياناً تحسبني إمرأة أخرى.. إمرأة فِي خيالك.

أتكون على علم بالمرأة التي دخلت حياتيي بفرنسا؟! ففي بداية زواجنا شعرت بالكاتبة غريبة الأطوار التي كانت تحوم حولي. فكذَّبت الْعلم بالْكيد؟!

أكانَ فِي عيني بيان الْفرار فخلعت اللولب باردَة منفردَة لها ما يبررها من خوف وضجر أُنثوي وشبح إمراة أُخرى تحترف الكتابة كتبت: في روايتها (كما يمكن أن تقع في الحب من أول نظرة يحدث ذلك أيضاً عند الكتابة- عشقه قلمي ليكتب عنه، كان رجل للكتابة يملك التناقض المولد للأحداث.أحبني كأمرة وأحببته كرواية أكتُبها في العشق!! ذله قدر أنُه لم يفهم كاتبة..وذله قلم أني لم أفهم رجل؟!)

أم هو إستثناء الْعلم؟!.. يا للنساء!

على كل حال بقي للحكاية نكهَة الْفحولَة حين أَحكي بأنَّ الْعلم لا يَقف فِي وجه قوَة الرَّجل، الْجامح، الطامح فِي الْعشق، وأضرب بنفسي كمثال، اللولب لم يقف، فى طريق لهيبي فتطمع بعض النِّساء فِي هذه الأُعْجوبَة وتعتقد أن مجرد روايتها غزل أو عرض ينتظر الطلب!

ولكن تبقى الْحقيقَة عند زوجتي، والطبيب الْمعالج.

إحتكم الأمر- فأمري ليس لي، الآن أنا (أمريكانلي) وهو التعبير الذي نحتهُ صنع الله إبراهيم في رواية له بنفس الأسم ويقصد به الدول توابع الأمريكان، والتي لا تملك من قرارها شيء وعليها السمع والتنفيذ؟!

يالا الروايات ستأتي المرأة الشرعية على فراش المرأة المرغوبة وفي بيتها لا يفعلها إلا يس إبن السيد عبد الجواد في ثلاثية محفوظ، كلنا يس عبد الجواد؟!

(ففى رواية: قصر الشوق):

[أَخَذَ عبد الْمنعم إبراهيم «يس»، ناديَة لطفي»زَنُّوبَة الْعالْمَة» وهو سكران طينَة فِي حنطور ودخل بِهَا على زوجته فِي منزل الزوجيَّة – لم يجد مكانًا آخر؟ــ قِلَّة الْحيلَة – إستيقظت زوجتهُ؟! ترك الزوجَة والعشيقَة معًا فِي عراك!!]

كل شيء يذكرني بشيء

حتى صوتي وضحكتي لك فيها شيء

الأماكن كلها مشتاقة لك

إنطلقَ لمطار باريس» شارل- ديجول» وهو بينهُ وبينَ ليون مابين مصر والسودان باريس ليست غريبة على، فقد أخذتني زبيدة إليها، ولكن لم يكن لي بها عِشرة مرتين فقط طوال مدة دراسة مَضى عليها تسعةَ شهراً.أرتني الجن والملائكة في باريس، فهي بطبيعتها بين الساخن والبارد، ولذا تأَملتُ كثيراً في فرنسا؟

والغريب أنَّها كانت تعرف أن فرنسا، الموت والحب وتقرأ خريطة قدرها؟

ومِن أغرب مارأيت الطوابير الطويلة الداخلة لما يعرف ب Des catacombs "سراديب الموتى" أو "الكاتا-كوم"، فتحت باريس مدينة إسطورية أُخرى- تحت الأرض ب20متراً! ففي القرن السادس عشرتحولت المقابر الجماعية للفقراء لمشكلة لكثرة الموتى فيها إنّهم الفقراء الذين عاشوا لا يملكون وماتوا لايجدون قبراً.جسامين ستة

ملايين باريسي حملوها بعظامها وإستقرت تحت باريس في المناجم القديمة ومع الوقت تكلست، وصارت تشبه الحجرعلى جانبي سردايب ممتدلة12كيلومتر تحت الأرض فيما يشبه المتاهة، وبينما توقفنا مندهشين لرهبة الموت أولرهبة التاريخ..كان البارسيون يبحثون عن لحظات لذة في سراديب مظلمة تحت الأرض،؟!

خرجنا من السرداب معاً ولعبنا لعبةَ العشاق، بعد أن إنتابتنا الغيرة، من أغرب طقوس العُشاق في تخليد قِصَصَهم، تعليقهم قفلاً على سور جسرٍ يعبُر النَّهر حُفِرَت عليه حروفهم الأولى، وإلقاء المفتاح في النَّهر، في إشارة للأبديّة التي لا يُعكرها صفو قفلٍ مفتوح؛فالمفتاح قد عانق قاع النهر وماله أن يرجِع أبدًا مهما تكُن الظروف Love-Locksوقمنا بوضع قفل على جسر الحب«جسرالفنون» المار من فوق نهرالسين. المكان مكتظ بالشباب بينهم وبيننا عمرٌ، وهي تحكي لي ماأجهلهُ عن لعبة الأقفال؟!

قالت: ولا توجد على وجه التحديد إشارة واضحة أو تاريخ واضح لعادة إنتشار أقفال الحُب بهذا الشكل الموسّع، غير أن حادثة بعينها في إيطاليا يصحّ أن يتم ذكرها في هذا الصد ففي عام 2006، صدرت للكاتب الإيطالي «فريدريكو موتشيا» رواية «أنا أُريدك»، ووفي الرواية «قصة حبيبين علقا قفل محبتهما على جسر «ميلفيو» بالعاصمة الإيطالية، العابر من فوق

نهر «التايبر» ليُقلدهما الآلاف بعدذلك من المُعجبين بالرواية والدعوة للمجاهرة بالمحبة التي تتبناها. تأسي الكثير من العاشقين في مختلف دول العالم ببطلي الرواية، وفكرة القفل، أخذهم إلى تقليد الفكرة، وراحوا يعلقون أقفالاً على الجسور مدنهم، ويرمون المفاتيح في النهر، وسار على هذا التقليد عشاق في بلدان بآسيا وأفريقيا وأمريكا بالإضافة إلى أوروبا، لكن باريس خطفت الأضواء وصارت مركز أقفال العشق، حتى لقب جسر "بون ديزار" بـ"جسر العشاق

قلت: يالا الروايات؟!

إقتربت فتاة مَليحة منَّا في تمهل، كانت في جينز ضيق إلتصقَ بجلدها وشعرٍ طويل مجعد، عيناها تتسألان وكأنّها عابت علينا الحب، أوإستكثرتهُ علينا، أم غارت فالحب نفسهُ يغيرمن عشاقهِ؟

قالت: تمهلا قبل إلقاء المفتاح فالأسطورة تعمل مع الجميع؟!

إستخدمت عبارة عالم النفس «إيريك فروم» في أنَّ الحب طفل الحرية، وفعل إيمان؟!.فبدوت كوجه إنساني حميم في مواجهة «متياقيزقيا الأسطورة» التي تريد أن تقنعنا بها؟! الذي يخشى الفراق ويشفق أن يرى نفسهُ مهجوراً ذات صباح!!

يبدو أنَّها إعتقدت أنَّ أحدنا يخدع الآخر، إمرأة جأت بعد زمنٍ طويلٍ

في المغرب لتغيرحياتها بباريس؟! ورجل إهتبل فرصة بعثة مجانية فسافر تاركاً خلفهُ زوجة وولد

ولكن في عناد يليق بمواليد برج الثور، ألقيتُ المفتاح لنهرالسين!!

فالعشاق كأم موسى إذا خافوا على حبهم القوة في أليَّم؟

ولاتَخَافوا ولا تَحزَنوا.

إنَّ رادوه إليكم وجاعلوكم محبيين.

بكثير من سجائر المنتول، أقتل عبث الإنتِظار في مطار ليون الصغير. وتَداعي ذكريات قريبة معها تأتيني كفيلم شيق أُعاود الحصول على تذكرة له للمرة الثانية أو الثالثة..

أُقابل بورحاب الذي أفهمني أنَّهُ على مساحَة كبيرَة من أرض الْمعارض الَّتِي تقع خارج باريس يجتمع الآلاف من الْمسلمين الْقادمين من أنحاء أوروبا وأيضاً أفريقيا وبعض الدِّول الْعربيَّة،على مدى أربعَة أيَّام – سنويًّا– يلتقون خلالها بالشخصيات الإِسْلامِيَّة من مختلف الْبلاد الأوروبيَّة والإسلاميَّة يتحدثون عن قضاياهم الرَّاهنَة وعن إسلامهم، وأن المؤتمر في الغد.وقد تحدد عنوان الْمؤتمر ليكون: »من أجل إسلام خاص بفرنسا«وأنَّهُ ذاهب لِهُناك، فقلت في نفسي حظ عائشة زوجتي في رجليها لِنَنْضم ولِترى باريس.

كانت فرصة ساقها الْقَدَر (أربعَة أيام) للإطلال على الْمسلمين خارج ديار الإسلام.هكذا أعلنت الْفكرَة لزوجتي، بينما كان الهدف الأساسي هو خروجي من أزمَة تطوُّر الْعلاقَة مَعَ (زبيدَة) الْمَغْرِبيَّة، إبنَة مَرَاكِش الَّتِي وصلت مشاعري نحوها بل مشاعرنا الْمتبادَلَة حدَّ الْعِشْق. الْحقيقَة إنَّ هَذَا الْعشق الْجديد أدخلني مدن الأحزان. وإنشغلتُ بحالي حتَّى لا يُؤَدِّي الأمر إِلَى وضع نفسي يَعُوق تَحمُّل الْغُربَة وإنشِغَالي بالدِّراسَة (زبيدَة) فِي هَذَا التَّوْقيت استولت تماما على مشاعري،

كان ابني الصَّغِير (علي) مَلاك الرَّحمَة بيننا، إنْشَغَلْتُ به وانشغلتْ به زوجتي؛ولِذَا بَدَت الْفِكْرَة مُوَفَّقَة، أربعَة أيام مَعَ الزوجَة الشَّرْعيَة، والابن الْعصَب..وأهل الله من الْمسلمين وحَتَّى وإن اختلفت الْجنسيَّات.

الفصل الثالث
الْمسلمين فِي فرنسا

«من أجل إسلام خاص بفرنسا» هو الشِّعار الذي رفعته الْمنظمات الإِسْلامِيَّة فِي فرنسا مقابل الْفكرَة الأولى الَّتِي يتخوَّف منها الْفرنسيون وهِيَ «الإسلام فِي فرنسا» حيث إن السلطات الْفَرَنْسِيَّة ترفض وجود إسلام فِي فرنسا مُنْفَصِلا وَمُنْعَزِلا عن الْمُجْتَمع الْفرنسي لذلك إختارَ الاتحاد الإسلامي هَذَا الْعام أن يَكُون شعاره موجَّها إِلَى السلطات الْفَرَنْسِيَّة فِي الأساس لكي يطمئنوا إِلَى أهدافهم..

فشعار هَذَا الْعام يدل على أن الاتحاد لا يريد من الْمسلمين فِي فرنسا أن يكونوا منفصلين عن واقعهم.

اليومُ الأوَّل: اجْتاحت صالاتِ الْعُرُوض هَذَا الْعام بجانب الْكُتب والْكاسِيتَّات اللافِتاتُ باللُّغَتين الْفَرَنْسِيَّة والعَربيَّة الَّتِي تتحدَّث عن الإِسْلام، وتُعلِن عن الْمدارس الإِسْلامِيَّة وتُطالْب بتبرُّعات لِبناء الْمَساجد خَاصَّة فِي باريس وضواحيها؟! فكان التَّركيز أكثر على التّبرُّعَات وفتح الْمدارس الإِسْلامِيَّة خَاصَّة بعد تطبيق الْقانون الخاص بِمَنْع إرْتِدَاء مَا ينمُّ عن الإنتماء

الدِّينِي فِي الْمدارس، ومقصود به الْحجاب بالنِّسْبَة للفتيات، وذلك بهدف إعطاء الْفتيات الْمسلمات الْفرصَة ليتعلمن بدون أن يضطررن إِلَى أن يخلعن الْحجاب..بعد طرد «إرنست شانفير» فتيات مغاربيات محجبات من مدارسهن الثانوية رغم أَنَّهنَّ مواطنات فرنسيات ولدن ويعشن بفرنسا وخيرن بين الحجاب والتعليم؟ بدعوى خرقهن لقانون العلمانية الذي لا يسمح بالرموز الدينية فى مدارس الحكومة العمومية.، ولَقَبَتهُ الصحافة وقتها ب (بابا –العلمانية) وفي الْمُقابِل صدر قرار سِيادِي لـ (دي فيلبان) – بتعليم وتكوين أئمَّة الْمساجد فِي فرنسا فِي (جامعَة السوربون) ويبلغ عدد هؤلاء الأَئِمَّة نحو 1250 إمام مسلم فِي فرنسا، ويَتَكَوَّن برنامج تدريب الأئمَة أساساَ من تعليم اللُّغَة الْفَرَنْسِيَّة، ومبادئ الْقانون والنظام السياسي الْفرنسي، والتاريخ الْفرنسي، وثاني خطوَة تقدم بِهَا دي فيلبان هي تشكيل رابطَة إِسْلامِيَّة تكون مهمتها تنسيق وتنظيم الْعلاقات بين الْمسلمين فِي فرنسا والسلطات الرَّسميَة الْفَرَنْسِيَّة ويكون من مهمتها أيضًا تَقَبُّل التَّبَرُّعات والأموال من فرنسا والخارج لرعايَة شُئون الْمسلمين فِي فرنسا؟! وبذلك يَكُون (دي فيلبان) قد منع تمويل الْمساجد من الخارج، وأوقف تأثير الدِّول الأخرى فِي شئون مسلمي فرنسا..وسط كل هَذَا الْمشهد الدِّينِي تَأْتِي خواطر مضْطَرِبَة، أُحاول صرفَها فلا تُصرَف! لم تكن من الشَّيطان بل من داخلي.. لم تبرح مخيلتي:

«**زبيدة**» حين نَبهتُها بأنه لا تزال أشياء بيننا..لا يكفي أن يتعرى الْجسد للجسد؟! وإنما يجب أن يتعرى الإنسان للإنسان قالت: إخلع خُفَّيْك فإنَّك بالجسد الْمُدَلَّل تطُوى..(قول قبلت بك عروس فترة وجودى بفرنسا، حلالاً وتمتع بي؟!)..كنت أفضل أن تصدني.تمنعنى..لا أن نتورط لم افعل أكثر من التجاوب العاطفى والتحرش الذائد؟! أستغرب حين قالت: الإمام علي تمتع بامرأة من بني فحشل؟! أهبكَ متعة وصلني مهرك من خاتمك؟!.

قلت في فكاهة: أتمارسين السحر المغربى، أم تصنعين تعويذة من «حكايات ألف ليلة وليلة» للوصال.

«**زبيدة**» عندما أوشكت على الذِّرْوَة أخرجت نفسي لأنتهي على بطنها أحاطت خصري بساقيها وهِيَ تقول: لا..لا.. إبقَ.!!» كيف؟!

أنا الأوَّل أم مجرد عابر سرير؟ همهمت مَعَ نفسي أحبُّك، فما ذنبي إن جاءني حُبك فِي شكل خطيئَة؟!

ما أجمل ما حدث بيننا، ما أجمل الَّذِي لم يحدث، ما أجمل الَّذِي لن يحدث؟! نحن لا نُشْفى من ذاكرتنا.

قُدِّمَ للمؤتمر تقرير بعنوان»السَّلَفيُّون..الأرثوزكسيَّة الإسلاميَّة» جاء فيه ما معنى الأرثوذكسيَة؟ هَذَا هو السُّؤَال الأَوَّل الَّذِي يجب الإجابَة عليه قبل

الدُّخُول فِي خِضَم الْموضوع وبخصوص معنى هذه الْكلمَة «أرثوذكسيَة» فالْمُتخصِّصون يعرفون أنها يونانيَّة الأصل، وأن لها معاني متعددَة أفاضت فِي شرحها الْقواميس والْموسوعات، لكنّها فِي نهايَة الأمرتعني بالْمختصر الْمفيد السلفيَة..ولأن كلمَة «سلفيَّة» ذات وقع إسلامي وجرس عربي فصيح حين تفرِّق بين»السلف والخلف» أو بين الأوائل والأواخر، أو بين لْمُتَقدِّمين والْمتأخرين ولأنها ترتبط ارتباطًا وثيقا بتاريخ الْعقائد الإِسْلامِيَّة وحاضرها بإعتبارها إسما لفريق من الْمسلمين عُرِفوا بأهل السلف، ولأنّها تُشير إلى سيادَة اللُّغَة الْعربيَّة لهذه الأسباب ظل الْمسيحيون الْعرب يستعملون الْكلمَة بمنطوقها ومعناها اليوناني فيقولون الروم الأرثوذكس، الأرثوذكس السريان.لأقباط الأرثوذكس. وقد وُظِّف مصطلح «السلفيَة» لصالِح الإستخدام الْغربي أو الأمريكي تحديداً.. فإنَّه لم يعد وصفا لنفر من أهل الْعلم قرروا الاإتّزام بالتّعاليم الأساسيَّة، أوالْعودَة إِلَى الأصول، وإنّما غدا عُنوانا لدعوَة للعُنْف والتَّطَرُّف يَنْعَت»السَّلفيَّةالإسلاميَّة» بالتَّخلُّف والعنف والعداء للدِّيمُقراطيَة وبكل الشُّرورِ والْعِبَرِ ورغم أن بعض الْغرب إنتسب إِلَى مجال الْبحث والعلم إلا أنّهُ لم يلتزم بالقدْر الْمُفْتَرض من الْحَيْدَة والْمَوْضُوعِيَّة؛لذا فإنّهُ كان فِي مُجْمَله بمثابَة صحيفَة إدعاء أشد حِرصًا على إدانَة الْمُتَّهم. خطورَة ذَلِكَ التّوْظيف اللُّغَوِي إنّهُ يضع جميع الْمُتَدَيِّنين تَحْتَ تصنيف واحد بغير أيَّة تَفْرقَة بين معتدل ومتطرف!!الأمر

الذي يكاد يوحي بأن الْمشكلَة الْحقيقيَّة تكمن فِي التّدين ذَاته وهو معنى يُرَوِّج له الْبَعْض بإشارات مُتَبَاينَة الآن فِي فرنسا ولأن الْعَمَلِيَّة بدأت كمحاكمَة تكلم فيها الادِّعاء وحده حتَّى بدت الظاهرَة الإِسْلامِيَّة كأَنَّهَا من مواليد حِقْبَة السَّبْعِينَات الَّتِي شهدت ظهور عدد من الْجماعات الْمتطرفَة (التَّكفير والْهِجرَة، والْجِهاد) ويتجاهل تمامًا كل صفحات سجل الإحياء الإِسْلامِي مُنْذُ بِدَايَة الْقَرْن الذي يقف على رأسه نفر من السلفيين الْمُعْتَبَرِين مثل جمال الدِّين الأَفْغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا.

تعرَّفْت على مجموعَة من الْجَزَائِرِيِّين،كانوا مُنَظّمين ويُمَثِّلُون وحدَة.. بَعْضُهم ذو لِحْيَة كَثِيفَة ولكنهم جميعًا يلبسون الْملابس الإفرنجيَة، كان حديثهم عن تدخُّل الْغرب، وبخَاصَّة فرنسا فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائرمن فوز للإسلاميين، بينما كانت من بينهم أصوات تطلب غلق الْملف، لأن ما حدث فِي الْجزائر باسم الإِسْلام جَعَل النَّاس تقول: ليت الْفتح الإِسْلامي لم يَصِلْ أرضَنَا؟! كانت التّركيبَة النَّفْسيَّة للْجَزَائِرِيِّين جَادَّة للغايَة وكأَنَّهَا لا تعرف التّفريج عن النَّفْس لا بالقول ولا بتقاطيع الْوجوه، فِي الْواقع كان لديهم عَجْزٌ عَاطِفِيّ عن التّواصل،اللُّغَة الْعربيَّة بينهم (حادَّة) ومخلوطَة بالفَرنْسِيَّة. ويبدو أن الثَّورَة والجهاد الطويل وما بعد ذَلِكَ جعل هُنَاكَ مشاكل فِي الْبِنْيَة النَّفسيَة والعاطفيَة لَدَيْهِم.

جاء..اليَوْمُ الثَّاني: وهو يوم إهتمام الْمؤتمر بالْملابس الإِسْلامِيَّة وبمظهر الْمُسْلِمين؛ لِذَا إهتمَ الْمُنَظِّمُون بتخصيص مساحات أكبر لِلْمَلابِس وعرضوا الْملابس الإِسْلامِيَّة للسيدات «دعوَة وير» أو ملابس الدعوَة فاحتلَّت مساحات أكبر من أيَّة ماركات أخرى كما عرضت ملابس صنعت فِي بلجيكا وفرنسا حتَّى تكون الْمرأَة الْمسلمَة كما يقول الْمسئولون «أنيقَة بدون أن تظهر خطوط جسدها- راقيَة دون أن تخالف ربَّها - مُتَرفِّعَة عن الْفتنَة».

أثارتني زوجتي حينما قالتْ أنَّ باحِثَة فرنسيَة مُهْتمَّة بالْبحث فِي (الْحِجَاب) وأنَّها أهدتْها حجابًا من قطعتين من الْقماش بألوان زاهيَة، ولكنَّها «كثيرَةُ الرَّغْي» وطلبَتْ منِّي أن أُسْعِفها باعتباري «سِيبَوَيه» الْفَرَنْسِيَّة كما سبق وأن أشعْتُ لها؟؟

وجدتُ الْفَرَنْسِيَّة إياها مرَّة أخرى أمامي، كانت في تايور أزرق باهت له جيب قصير..لا أعرف كيف ظهرت لِي؟!.وجدتُ السجائر أخذت واحدَة دون إستئذان.

قالت: منتول، نعناع..ألا زال موجود هَذَا التّبغ السيئ!!.. أطفأتها.

- مسيو، هل أنت مسلم؟
- نعم
- «الْحجاب» من وِجهَة نظرك هل أوجده الْمسلمون لمقاومَة الشَّبَق

الذُّكُورِي لديهم – أم هو يمثِّل شيئا عقائديًّا. أَتُسَاعدُنِي فِي ذَلِكَ؟! يمكن أُسوِّي الأمرَ معك مالياً– فعندي بحث عن جزور الدافع الجنسي، فالإسلام بعيد جداً عن إهتماماتي، وبخَاصَّة أن «الْحجاب» مختلف الشّكل بينكم – إنّي أحياناً لا أرى من الْمرأَة غير عينيها؟!

– مجنوة.. أن تبحثي في «الْحِجَاب أو النِّقَاب» داخل دراسَة أكاديميَة عن الدَّافِع فِي الْجَرَائم الْجِنْسِيَّة، إنّهُ واقع ديني.

أخذتْ سِيجارَة أخرى..دون إستئْذَان أيضًا..أشعَلَتْها قالت: منتول، نعناع ألا زال موجودًا هَذَا التَّبْغ السيئ!! إنْصرفَتْ وهِيَ تدخنها فِي نَهَمٍ! أزعجني أُصبعها الْوُسطى الَّذِي أخرجتْه من خلف ظهرها قبل أن تنصرف!!ولكنِّي أخذتُ ثأري. بتحويلها على بورحاب الجزائري لينْتَقِم بطريقَته من تَدخُّل الْغرب، وبخَاصَّة فَرَنْسَا فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين أجهضه تدخل الْغرب لأردَعَليْهَا وقاحتها، شاهدتها تباطئه بعد أن أخذت شنطه يدها من فوق المنضدة كان العرض لا يزال مستمراً من شنطتها الحمراء المكتوب عليها بالفَرنْسِيَّة: لماذا لا تفعل ما أراه فِي عينيك..؟! yeux votre dans est quelle pas faites ne tu porquoi فبورحاب من الرجال، الذين يفضل الجلوس مع الذكور، فإذا وجدت الأنثى؟!العن أبوخاش الذكور!!لم يقتلها ولكن رحب بها؟ تباطئها منتشى!

اليومُ الثَّالث: بدأ اليوم بِمُهَاتَرات بين الإتِّجاهات الإسلاميَّة بما يوحي بأن «الشَّيْطان» عرف الْمكان.. وبدأ الْوسواس بالسُّؤال: لِمَا نقدم الدَّنيَّة فِي ديننا؟ كانت الْبِدايَة من الْجزائريين.. وانضم لهم الْمصريون والإيرانيون. دون باقي الْجاليات الإِسْلامِيَة! لا يوجد إسلام فرنسي وآخر إنجليزي؟! يوجد إسلام واحد الإِسْلام لا يتلَوَّن بلَوْن الأرض؟! أن يَكُون عنوان الْمؤتمر «من أجل إسلام خاص بفَرَنْسَا» فهذا خروج عن الْمِلَّة؟! وَأْدُ الْفِتنَة محاضرَة موضوعها (ما هدف الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة ومحورها بل هدف كل الشَّرائع السَّماويَّة؟!) يقول الْمحاضر: النَّص صريح فِي الْقرآن.. يقرر بوضوح أنه الْعدل.. بناءعلى ذَلِكَ فإن النَّظر الإِسْلامِي الصائب والإلتزام الأمين هو ذَلِكَ الَّذِي يمضي فِي التّطبيق سالِكًا طريق الْعدل والْحريَّة مبتدئ بمدارجه ومنتهياً إِلَى مقاصده، فقد ذكر إبن الْقَيِّم في (أعلام الْمُوقِّعين): إن الله أرسل رُسُله وأنزل كتبه ليقُومَ النَّاسُ بالقسط، وهو الْعدل الَّذِي قامت عليه السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الْحق، وقامت أدِلَّة الْعدْل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثَمَّ شرع الله ودينه ورضاه وأمره. وإبن تيْميَة هو الْقائل: إن أمور النَّاس تستقيم فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعدل الَّذِي فيه الإشتراك فِي أنواع الإثم- أكثر مِمَّا تستقيم مَعَ الظُّلم فِي الْحقوق وإن لم تشترك فِي إثم؟! واستشهد بمن قال: إن الله يقيم الدَّولَة الْعادلَة وإن كانت كافرَة، ولا يقيم الدَّولَة الظَّالِمَة وإن كانت مُسْلِمَة... ثم قرَّر أنَّ الدُّنْيَا تدوم على الْعدل

والْكفر ولا تدوم مَعَ الظُّلم والإِسْلام.

لم يُعجبْنَا بالطَّبع أن تكون الخُلاصَة أن الله يقيم الدولَة الْعادلَة وإن كانت كافرَة ولا يقيم الدولَة الظالِمَة وإن كانت مسلمَة؟! فالدول الظالِمَة غير الْمسلمَة قائمَة؟!

ولذا قال الْمُتحمسون: «اللَّهُ يفعل ما يشاء..»..وقال بعض الْمتخصصين: إن هَذَا رأي للمعتزلَة، يريدون أن يجبروا (الله) تجلى وتنَزَّه، على فعل ما يروه هم مثالي؟! ولكنّهُ لا يحيط به الإنسان علماً. يملك الْقضاء والقدر، والعسر واليسر.. ويجعل ذلك كله فتنَة ليختبر النَّاس.

كذلك حدث خلاف حول الإستِشهاد بالْفَقيه الْحَنَفي «إبن عابدين» حين أفتى فِي حَلِّ نزاع إثنين على طفل أحدهما مسلم، والثاني غير مسلم حين حسم الأمر لصالِح غيرِ الْمُسلم لأنَّه ادَّعَى أنه ابن له. مُعْتَبرا أنَّ تنْشِئَة الطِّفل على حُريَة ولو على غير دِين الإِسْلام أفضل من تنشئته على الْعُبودِيَّة فِي ظِل الإِسْلام!!ولكني أُعجبْت به رغم قِدَمِه، فقد كان الرَّجل واعيًا بأهمِّيَّة قيمَة الْحُرِّيَّة عندما وَاجَه ذَلِكَ التّعارض بين الْقِيمَة والْمِلَّة..عَادت الْفِتنَة بِوَرقَة عمل أثارت الْحَفِيظَة الْفَرَنْسِيَّة، الأَمر الَّذِي جَعَل الأمْن يَظْهر بِقَبْضَة شديدَة. كانت ورقَةُ الْعَمَل تتحدث عن «الاسْتِشْراق ودوره ضِدَّ الإِسْلام» حيثُ أرجعت تاريخ الإستشراق فِي بعض الْبلدان الأوربيَّة إِلَى

الْقرن الثَّالِث عَشَر الْمِيلادِي، والسبب الرَّئيسِي الْمُباشِر الَّذِي دعا الأُوربيين إِلَى الإستشراق هو سبب ديني فِي الدَّرَجَة الأولى؛

فقد تركت الْحرب الصّلِيبيَّة فِي نفوس الأُورُبِّيين ما تركت من آثار مُرَّة عميقَة، وتَمَّ ربط ذَلِكَ باليونسكو.؟!لِتُصبح - مُفْتَريات اليونسكو-على الإِسْلام، نار الله الْموقدة؟!فما جاء فِي موسوعَة اليونسكو (تاريخ الْجنس الْبشري وتقدُّمه الثقافي والعلمي) وفي الْفصل الثَّالِث من الْمُجلَّد الثَّالِث: (الْحضارات الْكبرى فِي الْعصر الْوسيط) وهذه الْموسوعَة كَتَبَ فصُولَها: جاستون فييت وفاديم الييف وفليب وولف وجان نادر، والفصل الْعاشر من هَذَا الْمُجلد خاصٌّ بالعرب وقد سَوَّدَ كاتبُه صفحات هَذَا الْفصل بمِدَادٍ هو مَزِيج من التّشْويه لتاريخ الإِسْلام والإفتراء على سيرَة نبي الإِسْلام وخلفائه الرَّاشدين.

إنَّها مُحاوَلَة لإنجاز تاريخنا الطَّويل فِي نَيِّفٍ و350 صفحَة؟! (جاستون فييت) الْمؤلِّف الْفَرَنْسِي- فِي موسوعَة (اليونسكو) زعم أن الإِسْلام إحتفظ فِي رُكن من أركان الْكَعبَة بالصَّنَم الرَّئِيسي للمَكِّيِّين ألا وهو الْحجر الأسود!! ويبدو أن (جاستون فييت) كاتب الْفصل الخاص بالإِسْلام كتب ما كتب على الأرجح وهو متوتر الأعصاب.فمن مزاعمه الَّتِي هِيَ أهون من أن يُرَدَّ عَلَيْهَا ادِّعاؤه أنَّ الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة حتَّى معظم الْقرن الأَوَّل الهجري لم يكن لها وجود بالْمعنى الدقيق لهذه الْعبارَة؟! ويحاول الْكَاتب أن يُسْنِدَ زعمَه

بأنَّ الْمظاهر الْفنِّيَّة للشَّريعَة لم تكن موضع إهتمام من جانب الْمسلمين، ومن ناحيَة أخرى ترتَّب على هَذَا وذاك أنَّ الْمسلمين إضْطرّوا إِلَى انتحال الْقدْر الْكبير من النُّظُم الإداريَّة والقضائيَّة من الْبلاد الَّتِي فتحوها، ثم يُوَاصِل الْمستشرق الْفَرَنْسِي إفتراءه فيَدَّعي أنَّ مصادر الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة هِيَ الْقانون الرُّومَاني الْبِيزَنْطِي والقانون الْفارسي السَّاسَاني وقانون التّلمود بالإضافَة إِلَى الْقَوَانِين الدِّينِيَّة الخَاصَّة بالْكنائس الرَّاقيَة.؟

ونَصِيحُ بالرَّفْض.

الإِسْلام كما تقول (موسوعَة اليونسكو) تركيب مُلَفَّق من الْمذاهب اليهوديَّة والْمَسِيحِيَّة بالإضافَة إِلَى التّقاليد الْقوميَّة الْوَثنيَة الْعربيَّة الَّتِي أبقى عَلَيْهَا كطقوس قَبَلِيَّة تجعلها أكثر رسوخاً فِي الْعقيدَة؟

ونَصِيحُ بالرَّفض

تَزْعُمُ موْسوعَة (اليونسكو) أن الإِسْلام لم يُنْصِف أهلَ الذِّمَّة وأنَّ الإِسْلام عَمِل على أن يظَلَّ الْوضع الإجتماعي للذِّمِّيِّين وضعًا سَيِّئًا مَهِينًا، ويَسْتَدِلُّ الْكاتب بالجِزْيَة الَّتِي فُرِضَت ويرَاها ضَرِيبَة بَاهظَة أَثْقَلت كَوَاهِل الذِّمِّيِّينَ ثم يَزْعُم أن إزدياد إنتشار الإِسْلام بين الذِّمِّيِّينَ أدَّى إِلَى تناقص الدَّخل من هذه الضَّرَائِب.

ونَصِيحُ بالرَّفْض

ويكون الْقرار الْجماعي السريع الرَّد على مفتريات (اليونسكو) ودائرَة معارفها ومحرروها من الْمستشرقين الَّذِين يغلب عليهم التّعصُّب، دون أنْ نعرف – كَيْف.. وَمَن؟! أهو مُجرَّد تفريغ!كانت الخِطْبَة بالفَرنْسِيَّة ومع الصَّيْحات الْمُتَتابِعَة لنا، وكون الْمركز الرَّئيسي لليونسكو بباريس ردَّ فِعْله على الْمُتَفرِّجين من الْفرنسيين وقد قُوبِل ذَلِكَ بمُضَايقات فرنسيَة بَدَت طبِيعيَّة من الأمن بالتَّأكُّد من أوراق الإِقَامَة، وعدم وجود هِجْرَة غير شَرْعيَّة، وعمل الْكَاردُونَات بِحُجَّة النِّظام!!

الأمر الَّذِي أدى لمناقشَة بيننا.وكان للسوريين رأي عاقل، يرى أنَّ فَرَنْسَا والغرب تقصد بالإِسْلام ممارسات الْمسلمين على الأرْض بينما نسوق لهم النَّصوص الْمُقَدَّسَة والعقيدَة، وهذه طريقَة لا تُفيد لأنّهم غير مُلْزَمِين بنصوص عقائدنا – فإذا جاءت اللغة الْفرنسية فلْنَعِي أَنَّنا نُدِير حِوارًا ولا نُكلِّم أنفسنا؟!

اليَوْم الرَّابع أصاب الْقلق بعض الْجاليات الإِسْلامِيَّة فِي باريس عندما صدرت مجلَّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة وعلى غلافها رسم كبير زعمت أنّه يمثل النَّبي محمد – صلى الله عليه وسلم– وإبنته فاطمَة، وزوجها علي بن أبي طالِب وتحت عنوان كبير»الْحياة الْحقيقيَّة لمحمد» فالرَّسم ممنوع للأنبياء جميعًا فِي التّقاليد الإِسْلامِيَّة ولكن الْبعض قرر أنّها ليست

مجرد التّقاليد الإِسْلامِيَّة بل إن التّصوير محرم بالسُّنَّة!! وأدركت زوجتي بأننا محاطين بجوقة من المسلمين الشيعة.حينما إحتد الخلاف حول: هل الرَّسم كالتّصوير؟! تركتُ الْمَكَان وزوجتي لنشاط إجتماعي آخر للمؤتمر إنضممنا له وهو «زيارَة الْمرضى الْمسلمين من جميع الْجنسيات بمستشفيات فَرَنْسَا» كانت مجموعتنا تتكوَّن من 7 أشخاص أحدهم إيراني، وتوترت زوجتي وهي تتعرف على النساء معنا في المجموعة، حين أظهرن إمتعاضاً وعدم ترحيب بها من مجرد سماعهن إسمها (عائشة)؟!

قالت زوجتي وهى تهمس لي: نحن فى جوقة شيعية

قلت لها: كلنا مسلمين

قالت: «سايس- بيكو» يبدو أنها سارية، الإحتلال الأنجليزي والفرنسي.. قسمنا الأنجليز أخذوا بلاد السنة، والفرنسيين أخذوا بلاد الشيعة، أول مرة ننتبه لهذا؟

قلت: يبدو أن السجين يحن لسجانه..

علَّق الإيرانى تَعْليقاً مُرَوِّعًا بالنِّسْبَة لِي ونحن فِي باص زيارَة الْمستشفيات وهو يقلب، ويبحلق، ويقرأ فِي نسخَة من مجلَة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة: هل لاحظتَ الشَّبه فِي الرَّسم بين وجه الرَّسول ووجه الإمام عَليّ؟!

أنا: نعم تكاد تكون الْملامح واحدَة فِي الْعيْنين والذقن، هل لهذا معنى؟!

قال: الرسم مدروس، ومجلَة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة ليست سهلَة ولا خفيفَة إما أن يَكُون الرَّسام تأثر بالشيعَة أو يريد أن يشير لنظريَّة أنَّ لكل نبيٍّ وصِيًّا

تدخَّلت لِبنانيَّة فِي الْمجموعَة، وكانت أوَّل لِبْنَانِيَّة مُحَجَّبَة أراها حتَّى هَذَا الْوقت فِي فَرَنْسَا؟! كانت ترتدي عبائَة أنيقَة تشم فيها رائحَة الْعنبر، وحِجاب زاهي الألوان، كانت بدون مكياج وبكحل خفيف فِي الْعيون وأبدت إعتراض على رسم السيدة «فاطمة الزهراء»

قلت: الرَّسم ليس فيه فحش أو تعريض، والفرنسيون لا نُعَامِلُهم بالنَّص الْمُقَدَّس لدينا، وهم يرسمون الرموز الدِّينِيَة الْمسيح، ومريم الْعذراء، والعائلَة الْمُقَدَّسَة وموسى

تلقَّيْتُ الْعِتَاب من الْعُيون حتَّى عيون زوجتي. وقف الْباص أمام مستشفى لعلاج السَّرَطَان، كان معنا هدايا رمزيَّة، بدأ تلقين الأمَّهَات لصِغَارِهن عن كَيْفِيَّة تقديمها للمرضى بابتسامَة، تلقى الصَّغِير «علي» من أمه الْمأمُوريَة باستعداد مُرضِي، كان هُنَاكَ تعقيم قبل الدُّخُول عبارَة عن كيس نايلون يُلْبس على الْحذاء وجونتي فِي اليد، الأطفال اعتقدوا أنّها لعبَة؟! الألَمْ واليَأْس فِي عيون الْمرضى، لكنّهُ عند مُرَافِقِيهم أضعاف مضاعَفَة؟! وجودُنا مَعَ الْفرحَة فِي عيون الأطفال وهم يقدِّمون الهدايا خفَّف كثيراً، النِّساء فِي الْمجموعَة لهنَّ وقع السحر، فبينما الرِّجَال فِي صمت، كنَّ هنَّ فِي حركَة وثرثَرة وقُدرَة على

تجاوز محنَة الْمرض الخبيث!! التّنوع فِي نساء الْمجموعَة من حيث اللغات والجنسيات جعلهنَّ يعملن فِي تناغم، زوجتي تحتضن زوجَة مرافقَة لزوجها الْمريض، هو ضابط مصري من الْمَظَلَّات لا أعرف كيف تستدعي زوجتي النَّص الْمُقَدَّس فِي حديثها فيكون نسمَة، بلسم شفاء، برداً وسلاماً!! الْمؤمن مصاب.. ومع الْعسر يسر. ثقي فِي شفاء الله.

اللِّبْنَانيَّات يُدِرْن مَعَ الْمرضى أنفسهم الْحديث بعُذُوبَة وفُكَاهَة.. لقد لغين من أذهانهنَّ أنَّهم مرضى، فهل حروب لبنان الدَّاخليَة أعطتهن مَيْزَة الخِبرَة؟! كن فوق الْموقف بالنِّسْبَة للرجال الْمرضى الَّذِين بدون مُرافِقين، وَصَلْنَ معهم لِحَدِّ التّدْلِيل ومُسَاعدَة الْمُمَرِّضات، والْمُحايلَة لتناول الدَّواء والطَّعام.. وصل الأمر لحَدِّ الْعِنَاق والقُبلَة على الرَّأْس. قد يدخلنَ الْجنَّة بفعلهن!! أعتقد ذَلِكَ..فأنا نوع من الْبشر لا أرى إلا اللهَ الرَّحيم. الْمرضى الآن أفضل، لمعَة الْعيون فيها بَصِيص أَمَل أَيَّتُها الْمرأَة ما سِرُّكِ؟! لم يُسْمَح لنا ولم يكن لَدَيْناكرجال نفس الْقُدرَة والهِمَّة مَعَ الْمَريضات!! كان سُقُوط الشَّعر كَأَحد أعراض هَذَا الْمرض جعلهن يرفضن مُجرَّد الزِّيارَة والسَّلام فانشغلت النِّساءُ بالنِّساء والرِّجال معًا. إنتهت الزيارَة، وفي الْباص إنفجر نساء الْمجموعة فِي حنق ويأس ودموع، سمعن أكثر، ورأين أوضح، وتألَّمن أعمق. فالعلاج الْكيماوي يضعف النَّظر، ويؤثر بشدَّة على وظائف الْكبد، وكان موضوع فقد الإخصاب الأكثر تأثيراً!

زوجتي: بعد اللي شفته لسه حتدخن؟!.. إرمي الزفتة دي. كانت تقصد السيجارَة

رجعنا فى نهاية المؤتمر، وقد إكتسبتا بعض الصداقات الجديدة، كان يجلس بجواري في الطائرة أبو رحاب الجزائري، أمازوجتي فجلست مع مجموعة «دعوة وير» من النساء التي إنضمت لها في المؤتمر، لم يكن السبب الود والعشم بقدر ماكان، بسبب ابننا علي فقد كان لهولاء النساء أطفال في سنهِ.

تجرأت وقاطعت بورحاب وسط رغيه المزعج، وفي دعابة

قلت: لم المحك في المؤتمر منذُ عرفتك بالفرنسية، هل قتلتها.؟؟

قال: تقصد "دانيل" إنّها رائعة إنَّها ليست سجاح؟! دانيل مخلصة، وجادة، في بحثها عن الحجاب وهي من الذين يدرسون الشرقيات إشتغلتُ على ما قاله «ويلسون» فِي كتابِه وانتهيْتُ إِلَى وجود علاقَة بين الدَّافِع الْجِنْسِي والْمَلابِس إذ إنَّها ممكن أن تقوم بدور الْمثير، وأن ذَلِكَ أدى إلى تغيير ملابس الْغانيات على مرِّ العصور. و قُامت بدراسَة مَيْدَانِيَّة كدراسَة الْملابس الَّتِي كانت تلبسها الْمرأَة عند وقوع جرائم جِنْسِيَّة عَلَيْهَا (هتك الْعرض أو الإغتصاب) وبقي لديها هاجس عن الحجاب هل أوجده الْمسلمون لمقاومَة الشَّبَق الذُّكُورِي لديهم – أم هو يمثِّل شيئاً عقائديًّا. أليسَ الطرح مثير؟

قلتُ في نفسي كل المغرب العربي مثير؟ فقد عرف إدوارد سعيد "المستشرق" بأَنَّهُ كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو بإجراء لبحوث عن موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، أوعلم الإجتماع أو التاريخ، أو فقه اللغة وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة، فالإستشراق إذن وصف لهذا العمل، من الواضح أن كثيراً من الدراسات الاستشرافية، كانت بدافع من إرادة الهيمنة لذلك فإن إدوارد سعيد يقر أن المصطلح لم يعد يتمتع بتلك الحظوة القديمة، إذ يفضل المتخصصون الأن إستخدام مصطلحات بديلة كـ"الدراسات الشرقية".

ويبدو أني سرحت،

فوكزنى الجزائري وهويصيح: هل تعاني من ضيق تنفس بسبب الطيران؟

تنبهت.

قلت له: ولكن قل لي من سجاح آهي الجسد المريح بفرنسا يارجل!

شخط ولمعت عيناهُ وانتفضَ عرق المليون شهيد فى جبهته

وقال: أنت لا تعرف الفرنسية ولا العربية ولاتقرأ...ألا تعرف حكاية "سجاح بنت سويد".المرأة التي إدعت النبوة في اليمامة مثلما ادعى

النبوة (مسيلمة بن حبيب) المعروف ب"الكذاب" فى بني تميم.؟. ففي أوقات"حروب الردة"، زمن خلافة أبو بكر الصديق زعمت سجاح أن الوحي زارها ونزل عليها بالنبوة فتردد أهلها في تصديقها..وإن كان بينهم من أقتنع بها وسار خلفها..وحين سمع مسيلمة بحكاية سجاح أزعجه جداً أن تقاسمهُ امرأة النبوة وتشاركه إيّاها قد دبر الأمر مع رفاقه. الذين أشاروا بأن يجتمع معها وينظر في أمرها، فأجتمع الإثنان فى خيمة بقي خارجها أنصار كل منهما ولم يدخها إلا مسيلمة وسجاح فشلح لها سرواله؟!

وقال لها: " ألم ترِ أن الله خلقنا أفواجاً.. وجعل النساء لنا أزواجا.. نولج فيهن إذا شئنا إيلاجاً ونخرج منهنَّ إذا شئنا إخراجاً ".

فضحكت سجاح ولم تصفعه؟! وقبلت دعوة مسيلمة إلى الفراش، الذي كان قد أعده داخل الخيمة..فأشبع رغبتها وأسعدها وأرادت البقاء معه كزوجة مقابل أن تتنازل له عن النبوة؟! فخرج الإثنان من الخيمة وخطب مسيلمة سجاح من قومها وحين سألوه عن المهر؟!

قال لهم: قد أعفيتكم من صلاة العصر؟

الجزء الثانى

ستوديو زبيدة

- نسيم العصر على القصة

بيحكي في الهوى قصة

غناء مصرى -

ولمَّا كُنْت فِي الْحُبِّ لاأعرف اللَّعِب على خمسين حبل، ولا الإنتقال بين النِّساء أصابني الْعطَب وتبيَّن لِي أنّها

لعبَة صعبَة لا أعرفها، أن أغير الأقنِعَة وأعيش الزَّيْف.كان الأمر صعبًا أن تكون شفتاي بين أربع شفاه، وأن أنتقل من حضن إِلَى حضن.كيف أعطي زوجتي حنان الخيانَة، وألعب سياسَة فِي الْعشق؟!

من الْواضح أني أحادي الهوى، ولكن كيف الصبر على واحدَة طُوَال الْعمر؟!

الفصل الأول

- أتريد قهوَة؟

« يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة.. أنا.. أنا.. أنا أهوى «

يأتي الصوت فيحتال عليّ.. أهو من «زبيدَة» الْغائبَة. أم هو صوت زوجتي؟ يخذلني صوتي فلا يخرج بالرد.. وتأتي الذكريات. وضعت زوجتي الْقهوَة الْجاهزَة فِي فنجان، ووضعت جواره ملعقَة وقطعَة سكر، تركتْه أمامي.

أما «زبيدَة» الْمَغْرِبية فهِيَ ترفض هَذَا الإيجاز، صينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام «وش» وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. بل إنّها غيرت قميصها- فجاءت بقميص نوم أصفر؟! فإذا رفعت الْفنجان لأرشف الْبن...

قالت: قهوتي مُرَّة يمكن أن تتناول معها التّمر. وإذا شربت الْماء.. رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد، إنّها امرأة تفرد ما عندها.. تلبس كل ما عندها.. وتقول كل ما تعرف.

زوجتي تلف وتدور ب»الأستوديو» كالفراشَة حائمَة على النَّور، تراود الصَّغِير على كوب اللبن، وتغسل الأواني وتكلمني من باب التّسليَة؟ يعجبها ذوق زبيدة فى الستائر والفناجين، ولوحة مقلدة للفنان التشكيلى الفرنسي فرانسوا فريسينيه سماها «سيدة العالم» فماذا لو رأت المتعلقات الشخصية التي أخذتُها معها؟! والنمنمات التي أَخفيتها؟

تقول- نظرية جديدَة تتحدث عنها باريس، الْمولهة بالفراعنَة تقول: «إن رُفَات سيدنا يوسف لم تغادر مصر وإنَّهُ دفن بِهَا ولا تزال مومياه فِي الدور الأول من الْمتحف الْمصري بميدان التّحرير وإنَّها لم تخرج مَعَ موسى وقومه، ولكن الْمومياء وضعت وحفظت تحت اسم «يويا» وهو الاسم الذي عرف به فِي حياته مشابه لاسم «يوسف».

إهتمت زوجتي بالأمر بحكم دراستها للآثار - ولأني لم أسمع منها شيء عن الْفراعنَة طول معاشرتنا فقد أرجعت ذَلِكَ للفراغ. وتستمر وقد بدأت تقليب الطعام وتقطيع الْبصل.

- يويا هو يوسف وهوفى نفس الوقت جد أخناتون، عالم النَّفس اليهودي فرويد إعترفَ فِي كتابه «موسى والتّوحيد» أن الديانَة اليهودية منقولَة عن عبادَة أخناتون، وأن اليهود حملوا معهم عندما خرجوا من مصر تعاليم ديانَة أخناتون!! أتحب الْكارفس فِي السلطَة؟

عاد النَّبي يوسف ليطل بسيرته – اللهم إجعلهُ خيرا–؟!

فقد تذكرت زبيدة وهى تهمس: هَيت..هِيت..هئت..لك

فحاولت أن أغير الْموضوع..

قلت– فقدت 8 درجات من درجات الْمواظبَة والْحضور، وعبثا حاولت حل الأمر، فرغم حقي فِي غياب 5 أيَّام خلال التّرم الثاني إلاَّ أنَّهم تمسكوا بأني لم أخطر بالإنقطاع مسبقاً.

زوجتى– ارمي وراء ظهرك. كان إحتفال جميل، قل «اللهم إنَّا قد عجزنا عن دفع الضرعن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجزعن ذَلِكَ من حيث لا نعلم بما لا نعلم».. وبعدين يا علي مش حنروح الْبارك إلاَّ لمَّا تخلص اللبن.

قلت– وزادت الطينَة بلَّة. حين وزعتِ الْبحوث..وأنا غائب فلم يبق إلا بحث وقع فِي نصيبي قصراً وبالغصب عنوانهُ «النيَّة الإجرامية فِي جرائم الإغتيال السياسي» لا أعرف لَه أول من آخر.

قالت– من ترك التّدبير فهو فِي راحَة، وقال سهل بن عبد الله: ذروا التّدبير والإختيار فإنَّهما يكدران على النَّاس عيشهم. وقيل: من لم يدبر دُبِّرَ له.ضحكت.مالت برأسها وقلقلت الْحروف فِي النَّطق ونظرت لأعلى تستفتي السماء.

إستمرت بين الْكلام.. وتقليب الطعام.

– تعرف يا زوجي الْعزيز.. يوسف أو يويا أنجب بنتاً وولداً اسمه آي، وقد تزوجت ابنَة يويا أو سيدنا يوسف، أحد فراعنَة مصر وهو «أمنحتب الثالث» وقد أنجبت له ثلاثَة أبناء هم: أمنحتب الرَّابع وأخناتون، وسمنخرع، الذين تولوا حكم مصر. أمَّا الإبن فهو الْملك «آي» الذي حكم حوالي 4 سنوات وعلى هَذَا الأساس فإن يوسف يعتبر جدا لأخناتون والجد الأكبر للملك توت عنخ آمون.

أحياناً أشعر بأني لم أسافر من مصر لباريس، وإنَّما هاجرت من مكة للمدينة المنورة؟! والأن أركب عجلة الزمن للفراعنة!

أساير الأحوال فأسال زوجتي متى كان سيدنا يوسف عليه السلام فِي مصر؟

تقول– بالضبط لا أحد يعرف ولكن الْعلماء لهم إجتهادات جيولوجية فمن بين هذه الإجتهادات «إن الْبركان الذي إنفجر فجأَة فِي جزيرَة سانتورتني اليونانية سنَة 1628 قبل الْميلاد، أدى إِلَى إنتشار حب الْكبريت فِي السماء على إرتفاع 200 متر فغطى ما بين تركيا ودلتا مصر، وأدى ذَلِكَ إِلَى الْجفاف وإلى الْبرودَة الشّديدَة فماتت النَّباتات وجاع النَّاس فِي الْعصور الْقديمَة». قبل ذَلِكَ بقليل تنبأ يوسف عليه السلام لملك مصر بأن سنوات من الْجفاف والجوع

سوف تسود مصر، ولذلك نصح الْملك بأن يقيم صوامع الْغلال حتى لا يجوع النَّاس فِي سنوات الْجفاف وفي هذه السنوات جاء إخوة يوسف إِلَى مصر، ومعنى ذَلِكَ أن يوسف عليه السلام ربما عاش فيما بين 1900 قبل الْميلاد و 1350 قبل الْميلاد، فِي عصر الْملك «خبان» أقوى ملوك الهكسوس.

– الْقول بأن ذَلِكَ نظرية يحتاج لإثبات علمي؟

– الرُّجوع لعلم الْموميات، وأوجه الإختلاف بين «يويا» سيدنا يوسف والفراعنَة فِي «النظرية» تتركز فيما يلي: لم يعرف اسم يويا بين الْمصريين فهو اسم غريب عنهم. أذناه لا يشبهان أذن الْفراعنَة فلم تثقبا. أنفه معقوف. شفتاه قويتان. فكه بارز. وأخيراً فإن كل ملوك الْفراعنَة عند دفنهم وضعت أيديهم فوق صدورهم أما يوسف – أو يويا – فقد وضع يديه وراحَة كفيه على عنقه.

تستمر زوجتي...

: أنا عملت كل حاجَة، وحأخرج مَعَ علي عشان هو ولد شاطر وشرب اللبن، وبابا يقعد يذاكر، تعرف النَّهاردَة يا علي كام فِي الشّهر؟! أنا عارفَة وعلى الله لمّا نِرجع نلاقي بابي خرج؟!

ارتشفت آخر شفطَة فِي فنجان الْقهوَة الْمُرَّة أيضاً!! وقد لاحظت أني شربتُه بمرارته دون سكر على عكس مزاجي! قلبت الْفنجان ولكن من يقرأ الغيب الْمحوّج؟!

بدأتُ أُفكِّر فِي الْبحث بضجر. الإغتيال السياسي يظل بطلاً لمعظم الأعمال الرَّوائية.هل يوجد أدب للجريمَة السياسية؟ ويظل نداء قيصر الْقديم: (حتى أنت يا بروتس) فِي حاجَة لتفسير؟ قال الْمتطرف الإِسْلامِي: نعم لم أعرف نجيب محفوظ، ولم أقرأ له، ولكنّهُ خنجر فِي جسد نظام قبل أن يَكُون غرس خنجراً فِي جسد إنسان!! وقال قبله «مانسون» حينما سألهُ أتباعهُ ما فائدَة قتل «شاروت تيت» نجمَة الإغراء فِي هوليود وفي وقت حملها؟! قال: لقد حان يوم «هيلتر سكيلتر» وهي كلمَة رمزية تعني بدء جرائم الْقتل إنتقاماً من الْمجتمع بمعنى لا يهم من الْمقتول وإنَّما الْمهم الأثر نتيجَة الْقتل؟!

لأن الْقتل هو الْقتل أمام الْقانون، ولأن الْعدالَة عمياء لا تعرف ألوان الْقتل ولا تهتم ببواعثِهِ، ومن هُنَا كانت أهمية الأدب بالغوص إِلَى معاني هَذَا الْقتل الْفكري والْمعنوي عبر موت إنسان ما. (فالإغتيال ليس قتلاً فقط وإنّما موقف غير عادي، أن تقتل إنساناً ربما لم تلتق به فِي حياتك، أتقتل الرَّجل أم تقتل فكرته؟ أو هو خنجر فِي جسد نظام قبل أن يَكُون غرس خنجراً فِي جسد إنسان.لا يهم مَن الْمقتول وإنَّما الْمهم الأثر، نتيجَة قتله) ولكن الأديب.. يجاوز هذه الإعتبارات. كلها ويحدق عبرها، وينسج عَلَيْهَا ويفسر ما حدث بشكل غير مباشر فإذا الذي قاله غاية فِي الدهشَة والغرابَة، يقوله لأكثر من سبب وعلى شفاه أبطاله الْوهميين. ولهذا فقد وجد إتجاه فِي علم الإجتماع الْجنائي وعلم الإجتماع السياسي فِي إعتبار الأدب وثيقَة

حياتية تحتاج إِلَى تفسير. وها أنا أحاول أن أفعل ذَلِكَ. فهل يروق للأستاذ الْمشرف أن أضع الْقانون والأدب فِي زجاجَة واحدَة؟

شكسبير فِي رواية (ماكبث) يجعل جنون (ليدي ماكبث) عقاباً على تآمرها على إغتيال الْملك (دنكان) ويقول: (عطور بلاد الْعرب كلها «يقصد مصر والشام» لن تطهر رائحَة الدماء من يدها الصَّغِيرَة) ولدينا أمثلَة عربية كثيرَة من تاريخ الإغتيالات، كان إغتيال عثمان ومِن بعده الإمام علي إيذاناً بسقوط خلافَة الرَّاشدين وبدء الإغتيالات فِي الْعصر الأموي ومن بعده الْعباسي إيذانا بالشر والخراب، وسقوط الإمبراطورية الإِسْلامِية وهكذا فإن شكسبير قرن الْجريمَة السياسية بسقوط الْحضارَة والشر.إذا كانت وقائعها إغتيالات دموية وليست مجرد معارضَة سياسية بالرأي والْحجّة!!

أعاود التّفكير فِي الْبحث بمراجع جديدة. يُلقي كامو. بقية ضوء ويركز عدسته الْمكبرَة. فِي مسرحيته «العادلون» تروي حكاية فئَةٍ من الْمثقفين الْمخلصين الذين يقررون إغتيال الدوق الْكبير لأَنَّه يسيء إِلَى الْبلاد، يجدون فِي موته واجباً إنسانياً. هم يمقتون الْقتل، ولكنَّهم فِي محاكمتهم له فِي تنظيمهم السري، حكموا عليه بالإعدام.

دورا: إننا مجبرون على أن نقتل أليس كذلك؟ وكاليليف هو الذي سينفذ الإغتيال.طيلَة عام عشنا من أجل تلك اللحظَة.دقيقَة بدقيقَة، ساعَة

بساعَة أعطينا للدوق فرصه.وحاولنا فرملَة طغيانهِ ولكن دون جدوى لسنا وحدنا الْحانقون وإنَّما كل الْوطن كاليالِيف سيعمل إرادَة الْوطن؟

فهل يمكن للقانون أن يقف بجوار كاليالِيف الَّذِي سيعمل إرادَة الْوطن. إذا ما أطلق رصاصَة على الدوق؟ ما يسمى «الْجريمَة السياسية» أي ما يرتكبه صاحب الرَّأي أو الْمذهب السياسي مخالفاً به الأوضاع السياسية الْقائمَة والَّتِي يحميها الْقانون ليست فِي الْواقع من قبيل «الإجرام» الَّذِي تصدق فِي شأنه وظائف الْعقاب الأخلاقية منها أو النَّفعية فمن النَّاحية الأخلاقية أي «العدالَة» لا يمكن الزعم بأن عقاب الْمجرم السياسي فيه تحقيق الْعدالَة عن ذنب إرتكبهُ وتهدئَة بالتّالي لشعور السخط الْعام، لأن هَذَا الشّعور إن وجد فإنَّما يوجد عند فريق فقط من الْمجتمع لا يوافق الْمجرم على معتقده السياسي بينما شعور الإعجاب هو الْقائم لدى فريق آخر مؤيداً له، وقد يشكل الْغالبية فِي بعض الظروف. ومن ناحية الْمصلحَة الإجتماعية فإنَّ مجرد تقرير عقوبَة للجريمَة السياسية قَلما يصد صاحب الرَّأي السياسي عن مواصلَة نشاطه فِي سبيل تحقيق أهدافه كما أنّ عقاب الْمجرم السياسي بالفعل لن يثنيه عن رأيه أو رسالته الَّتِي يؤمن بِهَا، ولن يمنعه بالتّالي من الْعودَة إِلَى تكرار محاولته متى سمحت له الْفرصَة.

ويذهب كاليالِيف بالقنبلَة، مترصداً مرور عربَة «الدوق الْكبير» لكنَّهُ لا يرمي بالقنبلَة.لماذا؟ لأن أطفالاً كانوا يرافقون الدوق فِي عربته، ولأَنَّهُ ليس

من حقه أن يقتل الأطفال..كاليأليف: لم أحلم قط بشيء كهذا..أطفال، أطفال بالذات.. هل راقبت قط عيون الأطفال؟ تلك النَّظرَة الْحزينَة الْمباشرَة. إذن إصطدم كاليأليف لحظَة الْقتل بـ «هول» الإنسان الْعادي داخل نفسه وسقط عنه فكرَة الْقتل للأبرياء، سقط سحر التّنويم السياسي الذي يبرر أحياناً لأصحاب الْعقائد إباحَة الأمر! ألهذا نهض الإتجاه الليبرالي فقال السياسي الْفَرَنْسِي «فرانسوا جيزو» بضرورَة إستبعاد «الإعدام» الْعقوبَة الْعظمى من هَذَا الْمجال والتّرفق بالْمجرم السياسي بوجه عام بحيث لا يخضع فِي الْعقاب لما يخضع له الْقتلَة السَّفاحون، واللصوص، وقطاع الطرق، وأسس هَذَا على أن الْجريمَة السياسية لا تشكل ذنباً أخلاقياً. إذن فلا محل لفكرَة الْعقاب الَّذِي يعني التّكفير عن الذنب إرضاء لشعور الْعدالَة.

ثمَّ جاء «جاروفالو» قُطب الْمدرسَة الْوضعية بعد ذَلِكَ وأدلى برأْيه فِي الْجريمَة السياسية من وِجهَة نظر»علم الإجرام» فجعلها نموذج «الجرائم الْمُصطنعَة» بمعنى أَنَّهُ أخرجها من نطاق الْجرائم الَّتِي إنشغلَ بِهَا «علم الإجرام» والَّتِي يُوصِي فيها هَذَا الْعلم بفحص الْمجرم من النَّاحيتين الأنثروبولوجية والْبيئية لتُبين الْعوامل الَّتِي أثَّرت فِي سُلوكه الإجرامي وتقدير نصيبه من الخُطورَة الإجرامية، كل ذَلِكَ تمهيدًا لإختيار ما يُلائمه من تدابير أمن الْمجتمع وحمايتهُ من هذه الخُطورَة ولا ريب فِي أن هَذَا الْمنطق الْعلمي يلتقي مَعَ الْمنطق الْعقلاني الَّذِي ساقه جيزو من حيث

ضرورَة إستبعاد الإعدام وكل عقاب أو تدبير إنتقامي من نطاق الإجرام السياسي؛ لأن الإستئصال أي الإعدام عند بعض أقطاب الْمدرسَة الْوضعيَّة إنَّما هو تدبير لحماية الْمُجتمع من الخطورَة الإجرامية وهو معنى لا وجود له فِي حالَة الْمجرم السياسي؟!

أتذكر زوجتي وهِيَ تقول: وبابا يقعد يذاكر. تعرف النَّهاردَة يا علي كام فِي الشّهر؟؟ أنا عارفَة. وعلى الله لما نرجع نلاقي بابي خرج النَّهاردَة كام فِي الشّهر؟!. إنه يوم ميلادي إنَّها مناسبَة لا بد فيها أن أحلق ذقني!! أذهب للحمام لأحلق ذقني، صورتي فِي الْمرآَة تؤكد أنّ الْعمر مر تجاعيد تحت جفون الْعين، اللون الأبيض يزرع جذورهُ فِي الشّعر ما في الْقلب يصغر عن ما بدا فِي الْوجه بعشر سنين!! أحان الْوقت لطفل آخر حتَّى لا أترك ولدي وحيدا؟ هل يترك الْقدر لِي الْقدرَة على إختيار متى يأتي الأولاد؟. أئِذا تركت زوجتي الْحبوب إيّاها، أو مجرد وجودي الذُّكُوري معها. يأتي بالْحمل؟ أم أنّ هُنَاكَ أشياء حدثتْ لدينا. وبنا أعجبها الْوضع الْحالي! إنَّ علي جاء واللولب موضوع؟! ولذا تعاملنا مَعَ الْحبوب.أكانت هِيَ الْحقيقَة؟ أم ضجر أنثوي من رجل تخاف هروبَه فكذبت الْعلم بالْكيد؟!

أكان فِي عيني بيان الْفرار..فخلعت اللولب باردَة منفردَة لها ما يبررها من خوف و ضجر أنثوي وشبح امراة أخرى.. أم هو إستثناء الْعلم؟!..يا للنساء!

بالتلفزيون أمامي أعلنت السلطات بفرنسا عن شغب بغرب باريس من مهاجرين عرب، أشعلوا النَّار في مغفر للشرطة بعد تطبيق القانون190 بأربع وعشرين ساعة؟!.لم أفهم وبدأت البحث في القنوات المحلية.. هاهو مسئول بالبوليس الفرنسي يلقى بيان: (إن العنف جاء من إحتجاجات على القبض الذي تم لرجل تم تغريم زوجته لإرتدائها النقاب فاعتدى الرجل على الضابط الذي كان يحرر المخالفة، ولكن جموع من المواطنين والمقيميين من المسلمين زُعروا لذلك فأشعلوا النارفي حاويات القمامة فى مدينة "تراب" حيث مكان الواقعة، ثمَّ حطموا محطة للحافلات مما إضرَّ البوليس لإطلاق الأعيرة النارية في الهواء للتفريق. لم افهم لماذا أوقف البوليس المرأة المنقبة في الطريق العام وغرمها وهي تسير؟..إن زوجتي وعلي بالخارج أقوم في خوف للشارع للبحث عنهما؟! أشتري جريدة اليموند فأجد المفاجأة:

([قانون حظرغطاء الوجه فى الأماكن العامة] وينص على: " أن أي امرأة تخالف، حظر أغطية الوجه تعاقب بغرامة 216يورو، ومن يجبر امرأة على لبس الحجاب أو النقاب يعاقب بضعف الغرامة، وفي حالة التكرار تكون العقوبة الحبس")

ضربت زوجتي في مقتل؟

عليها بهذا القرار أن تبقى بنقابها بالبيت..لا خروج، لا فسح، ممنوع عليها كل مكان عام..ممنوع أن تذهب للزو أو البرك مع إبننا الصغير علي؟! بل ممنوع عليها الذهاب للمستشفى مثلا؟إنَّهاالممنوعات الحالة الموافقة ل"أحمد نجم": ممنوع من السفر..ممنوع من الكلام..ممنوع من الإبتسام، وكل يوم فى حبك تزيد..وكل يوم بحبك أكتر من الي فات"

فإلى متى نحب فرنسا؟

.. إنهمرَ المطر كالمعتاد ولمَّا كنت نسيت الإمبريلا، وخرجت في ملابس عادية فبسرعة عدتُ للمنزل بين القلق والخوف،

فيروز تغرد:

تزكر (تذكر) آخر مرة شفتك سنتا (سنتها)

تزكر وقتا آخر كلمة قلتا (قلتها)؟ وماعدت شفتك..وهلق (الأن) شفتك

كيفك إنت؟

شبح زبيدة يحاصرني

أشباح هذا المنزل لا تفارقني ولكنَّه دبر لنا؟!

أعود للبحث مضطرباً (عند شكسبير مثلا الْقتل أوالإغتيال السياسي شر، حُجَّة يُغطِّي بِهَا الإنسان أحيانا حُبَّه للسُّلطَة أوللظهور وفي مسرحيته

الرَّائعَة "يوليوس قيصر" لحظَة يقتل الْقيصر بين أصدقائه، ويرى بينهم "بروتس" الذي ربَّاه وجعله ينشأ فِي بيته! فلا يهوي إِلَى الأرْض ولا يلفظ أنفاسهُ إلا حينما يرى بروتس الذي يؤمن به والذي يحفظ تعليماته عن ظهر قلب وقد سدَّد طعنته إليه إذ يقول: وأنت أيضاً بروتس؟! فلْتَمُتْ قيصر إذن. إنَّه لا يُعاتب أو يطلب عقاب بروتس وإنَّما يقبل قدره. إذا كان هَذَا رأي بروتس معكم، هَذَا الرَّجل الذي أؤمن به، ويؤمن بي، هَذَا الرَّجل الذي أكل عيشي، وشرب نبيذي، إذن لا بُدَّ أن هُنَاكَ سبباً مُقنعاً لموتي فَلأَمُتْ إذن.!! لكن شكسبير يجعل قتل قيصر نذيراً للخراب، فالقتل عنده مَقرُون بالطبعية الْغاضبَة والْمذهلَة، وبظهور شرورها كَرَدٍّ فعل ضد شر الإنسان ويعبر عن ذَلِكَ بالسحرَة والنُّبوءات وإنتشار الْبُوم لكن قيصر نفسَه يتجرَّد فِي لحظَة موته ويرى أن الْموت جزاءً عادلاً! فهل الْقانون الْفَرَنْسِي لَه شفافية قيصر لقد سحبت من الْوجدان الْقَانُونِي كلمات "ثورَة وكفاح وتمرد ومقاومَة" لصالِح مصطلح وحيد "إرهاب"إن بروتس وأنطونيو وكل الثوار ضد قيصر – ليس لهم من نصير فِي الْقانون الْحديث إلا الْجَبل ليصيروا من الْمطاريد. عُظماء التّاريخ هم مطاريد الْقانون؟! الْمقاومَة الفلسطينية من مطاريد الْقانون!الأكراد من مطاريد الْقانون!

سمعت صَرِير الْباب وهو يُفتح

انطلق عَلي إلى أحْضاني وهو يَصِيح: "بابي.. بابي رحنا الْبارك

إحتضنتُه وقبَّلته، كان فِي عينيه حنان يكفي فرنسا. قبضت على لحظَة الْعذوبَة هذه. شعرت بأنَّه قطعَة مني كان ما وراء هذه اللحظَة قبض الرِّيح! لم ألْحَظ أن زوجتي أتت بتورتَة وشموع وقداحَة جديدَة لزوم عيد ميلادي. ولكني تَنبَّهت.لِليونتها الإنسانيَّة حينما ارتدت قميص نوم قصير بلون أصفر كناري وهَمستْ "سنَة حِلوَة يا حبيبي " كانت تُرَاوِد عليًّا بجَسارَة على أهمِّية النَّوم.وتحثُّه عليه بفسحَة جديدَة.والصغير مُستكين فِي أحضاني مُستمتع بلحظَة أبوَّة. إستوحشتني، فأستملح التّمتع بِهَا، ولكن لم يقاوم كثيراً عند الْوعد بلُعبَة جديدَة كانت أعجبتهُ

« أتذكر.. صينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام «وش»، وفنجالين عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد. وصحن بِهِ بلح. بل إنَّها غيرت قميصها- عَلِّى أُغيِّر مِزاجي- فجاءت بقميص نوم أصفر؟! فإذا رفعت الْفنجان لأرشف الْبُن.. قالت: قهوتي مُرَّة يُمكن أن تتناول معها التّمر. وإذا شربت الْماء رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد؟!»

اللون الأصفر؟! لِيُساعد الله إذن الْقيصر. فالغواية تأتيه صفراء لامعَة!!

أمنياتي للأصفر الْكناري..أتمنى أن تُفرد ما عندها. تلبس كل ما عندها..

وتقول كل ما تعرف. وتلقي بعلبَة الْحبوب!!

هذه.الذي أؤمن بها، وتؤمن بي، هذه الَّتِي أكلت عيشي وشربت نبيذي، إذن لا بد أن هُنَاكَ سببا مُقنِعًا للقميص الأصفر؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

هذة السطور البيضاء طريقة مهذبة إخترعها «إحسان عبد القدوس» فى رواياته..للكلام عن شيىء مهم اسمه الغرام..أوالعشق. أو الخ.....؟!

يالا لعبة الروايات، فليمت قيصر إذن ولاموت معه.

الفصل الثانى

الماح ثان:

كذلك زحف المسلمون ببلاد الغال على مدينة ماسون، وشالون،ببلاد الغال ووصلوا إلى مدينة "سانس" عاصمة إقليم "يوند" على بُعد ثلاثين كيلو مترًا فقط جنوبيّ باريس، وقد تصدت هذه المدينة للزحف الإسلامي، فكانت آخر ما وصل له الفتح ويبدو أن القائد المسلم عنبسة بن سُحيم قد أدرك بعد هذا التقدم الظافر الذي جعله يقترب من باريس أنه توغل في قلب فرنسا أكثر مما ينبغي، فقد طالت خطوط العودة، فخشي أن تُقطع عليه بعد أن إبتعد مسافة ألف ميل شماليّ قرطبة، كما أن أحوال الأندلس قد بدأت تتغير بظهور العصبيات المختلفة؛ مما دعاه إلى العودة بعد هذا النصر .

عاودت الإنتظام اليومي بالْمحاضرات فالتّرم الثاني من الْمنحة الدراسية كان مكثف الْمنهج كما أني كنت أتردد على مكتبة الْجامعَة كطريقَة للمذاكرَة، وأيضاً لحل لوغاريتم الآثار الفرعونية الَّذِي وقع فِي حِجر زوجتى فجأة!!

الْقدر ساق صدفًا أخرى إنَّها الْفَرَنْسِية سريعَة الْحركَة، كنت أعتقد أن الْجزائري ذَبَحَها إذ عرف أنَّها تبحث فِي الْحجاب عن جذور الدافع الْجِنْسِي؟! ولكن يبدو أن الْجزائريين يملكون من السماحَة وسعَة الأفق أكثر مِمَّا قدرت مَعَ فرنسا؟! كنَّا نلتقي فِي نظرات طويلَة تنتهي بأن يَغُضَّ أحدنا النَّظر.وينصرف، كان من الْواضح أننا مدركين لمعرفتنا السَّابقَة، ولكن مُصرِّين على نفيها! ولكن مَعَ كرم الْقَدَر، وإعتياد الصُّدَف تبيَّن لِي أنَّها أطول مِمَّا قدرت، وأنَّها دخلت إلى موضة التّايير ولم تخرج منه، تايرات أنيقَة بألوان مختلفَة، ودوماً جيب قصير! أثناء وجودي بالْمكتبَة أتذكر الْبحث فأُلملم الْكتب الَّتِي أعْتقد أنَّها مُفيدَة.وأكتب.. (أندريه مالروا) يصف أجمل وأصدق وصف للجريمَة السياسية فِي رائعته «الوضع الْبشري» (تشن) يقتل إنساناً لا يعرفهُ، ولا يرى جسدهُ أيضاً، لأَنَّهُ نائم تحت ستارَة السرير (ناموسيَّة) تلفهُ تلك الْكدسَة من الشّاش الأبيض الَّتِي كانت تتدلى من السقف على الْجسد. إذن (تشن) لا يقتل رجلاً وإنَّما فكرَة مكفنَة بالْبياض؟! هو يعتقد أَنَّهُ بالتّخلص منها تنتهي معاناتهُ، وشرور الأرْض!) مالروا ببراعَة مُذهلَة استطاع أن يُلخِّص رؤاهُ للموقف خلال اللحظات الَّتِي تسبق الْقتل كلها: تشن لا يعرف الرَّجل الذي سيقتل ولا يَعيَ هو كل ما يعرفه هو أن من واجبه أن يقتله! وهو مطمئن إلى هَذَا. ولا يراه كإنسان ذي جسد إلا لحظَة الْقتل بالذات فقط لحظَة «يشعر بالجسم عبر نصل الخنجر

ينتفض». يشعر «بهول» الْقتل الإنساني لكن بهول وقلق مجيد، مجيد؟! لأَنَّهُ فِي اللحظَة نفسها لا يعتبر نفسه قاتلاً فهو «قربان يقدمه للثورَة» لا يهم من الْمقتول؟! وإنَّما الْمهم الأثر نتيجَة قتله!! ونقمَة الدراما، بعد أن يذهب متوهماً الخلاص. إذا بالْمقتول رجل آخر؟موته لا يُنهي معاناتَه وتبقى شرور الأرض ويضاف لوجدانهِ خزي أَنَّهُ قاتل غبيٍّ بلا ثمن ولا معنى؟ يحدث هَذَا مَعَ الْمجرم السياسي حين تهرب منه طلقته عن الهدف الأساسي فتصيب بريئاً! كانت السياسَة تُضايقه والنظام الإجتماعي يضيق عليه، فأنهى هَذَا الْغضب بالتَّنفيس بقتل أحد الْوزراء أو الْمشاهير أو.فإذا به قتل بريئاً ولم يجد هرباً من إثم الْقتل، إلا نفس الْعبارَة السَّابقَة «قربان الثورَة». صحيح إن قتل «الطاغيَة» هو قتل فكرَة بقدر ما هو قتل إنسان. ولكن لا عبرَة فِي النِّية الإجرامية بتحديد محل الْجريمَة أهي الطاغية أم الْبريء؟! يا أيُّها الْقانون أتتصور أنك تأتي لنا بالعدل؟! كم كنْتِ عبقرية يا زبيدَة.. حين قررتي أن تُعرِّي الْقانون وتُفقديه وقارَه، كنتِ تُظهرين توحشَه وتطالبيهِ بالرأفَة، أأنت أديبَة أم علَّمك الأدب أن تكوني محامية شاطرة؟!

القانون يرى توفر»النِّية الإجرامية» أي الْعمد لدى الْجاني بغير أن يَكُون الْجاني محيطًا بالصفات الْمميزَة لمحل الْجريمَة «الْمجني عليه» ويفترض أَنَّهُ لم يكن يعنيه تحديد هذه الصفَة وإدخالها فِي حسابه الإجرامي.فهو قد قبل الْجريمَة مقدمًا بالصفات الَّتِي يستقر عَلَيْهَا محلها أيًّا كانت عندئذ؟!

ويعرف الْعمد هُنَا بحسب ما درجَ عليه الْفقهاء فِي كتاباتهم – بالعمد غير الْمحدود –! مالروا فِي رائعته «الوضع الْبشري» يُعرِّي الْقانون من أهم صفاته الْمنطق! ولكن يبقى للقانون عذره «للعمد غير الْمحدود» حالَة الذي يُلقِي بقنبلَة فِي مكان عام إكتظَّ به الْجمهور قاصدًا من ذَلِكَ الإرهاب وإشاعَة الذعر والفوضى عن طريق قتل الْبعض، وإصابَة الْبعض الآخر بغير تعيين، أو قاصدًا قتل شخص بعينهِ يعلم بوجوده وسط الْمجتمعين لا يعنيه بعد ذَلِكَ من يقتل أو يصاب من الأشخاص الآخرين أيًّا كانوا أوْ كان عددهم؟

الْحيدَة أو الانحراف عن الهدف يعالجها الْقانون بمنطق عقابي لا بالعدل؟! وتتحقق فِي حالَة ما إذا أراد الْجاني مثلا أن يصيب «زيدا» بمقذوف ناري فيخطئه ويصيب شخصًا آخر يتصادف وجوده أو مروره بمكان الْحادث. أو ما يُشبه حالَة ما إذا تعمد الْجاني قتل شقيقته بالسم بسبب سوء سلوكها، فلما أعطاها فطيرَة محشُوَّة بالزرنيخ لهذا الْغرض أرجأت أكلها ثم نسيتها فِي مكان بدارها فعثرت عَلَيْهَا شقيقتها الصغرى فأكلتها وماتت؟! أراد الْجاني «زيد» أو الْملك، أو الطاغيَة.. وأراد الْقدَر «عمرا».. فكان للقدر ما أراد، ولأن الْقانون لا يعرف ذلَّة الْقدر يعاقب الْفرد صاحب ذلَّة الْقدم! الْقانون لا يرى أي غلط «يشوب الْجاني بالجريمَة الَّتِي تعمدها أو بشخصية الْمجني عليه فيها، لأنه يعلم تمامًا شخص من يصوب إليه سلاحه أو الْمقصود بالتَّسمم وكل ما هنالِك أنه أخطأه وأصاب

سواه، ولكنه كان يريد النَّتيجَة الإجرامية «القتل»؟! فالرأي السَّائد فِي الْفقه والقضاء هو أن الْحيدَة عن الهدف أو الغلط فِي الشَّخص لا أثر لها فِي تحقق الْعمد لدى الْجاني بالنِّسْبَة للواقعَة الَّتِي انتهى إليها نشاطه، بمعنى أن الْجاني يُسأل عن هذه الْواقعَة كما لو كان قد تعمَّدها بالذات؟! فاعتبر الْغلط فِي الشَّخص والْحيدَة عن الهدف صورتين من صور هَذَا النَّوع من الْعمد الخاص الْمعروف بالعمد غير الْمحدود. معنى ذَلِكَ أن «الْباعث» قانونا شيئًا مختلفًا عن «العمد» فهل ينبغي أن أمنحهُ أهمية عند الْبحث؟ الأديبَة (غادَة السمان) ترى بأن الإغتيال السياسي يختلف عن الْقتل لأنهُ شيءُ حضاري؟! الْحيوانات تقتل باستمرار لكنَّها عاجزَة عن ارتكاب الإغتيال السياسي، إنَّهُ أمر ينفرد به الإنسان فِي الطَّبِيعَة لأن له باعثا، لَه جذورا، وفي معظم الأحيان سامي.. إذ إنَّهُ يتضمن قتل (فكرَة) أكثر من قتل كائن حي. حقيقَة الأمر أنّ السياسَة الْعقابية الْمعروفَة لا تهتم بالْباعث فِي التّجريم؟! ولكن لَه أهمية عند إيقاع الْعقاب.للباعث الشّريف أثره الذي لا شك فيه من حيث تخفيف الْعقاب بمعرفَة الْقاضي فيما بين الْحدَّين للعقوبَة «الأقصى والأدنى» أو تطبيقًا لأسباب الرَّأفَة عملًا بنظام (الإباحَة) وقد إعتبر الْباعث شريفًا فِي الْجرائم السياسية لأنَّ مرتكبها لا يعد عليه أدنى مصلحَة من فعله، بل يُضارَّ منها بنسبَة كبيرَة؛ ولذا قيل إنَّهُ يتمتع بحق اللجوء السياسي وعدم التّسليم.. فهل هَذَا يطبق فِي الْواقع أم يقع علي الْمجرم السياسي ما لا يقع

على الْمجرم الْجنائي؟

شعرت بيد على كتفي وأنا أسترسل مَعَ الْكتابة.وعندما الْتَفتُّ وجدتُها الْفَرَنْسِيَّة وراء ظهري؟ فهل ستبدأ الْغزل، أم النَّاقَة الْحمراء ستبدأ معي معركَة أخرى للإبل؟

إعتدلت ناحيتها فِي جلستي واستمرت لحظات الصَّمْت

- لماذا تهرب مني أتتجاهلني أم نسيتني؟

- أنت لا تُنسي.

- لن أعطل برنامجك، أريد عنوان الإقامَة، حتَّى أُرسل لزوجتك هدية ردًّا على هدية الْحجاب الأنيق.

- هل هَذَا يعوق زواجي من فرنسيَّة؟!

- ستدخل السجن ففرنسا، لا تعرف تعدد الزوجات.

- ألا تجدين لِي حلا؟

قامت عاجلَة، فأعطيتها الْعنوان، وانْصرفتُ معها، عند مخرج الْمكتبَة

الفصل الثالث

الهرم تحت نقابها:

« إنَّنا نعيش عالَة على الْغرب، لقد اكتُشِفت أن الْغرب لا يقوم بالتَّنقيب عن آثارنا فقط، وترميمها فحسب، بل يقوم بترجمَة النُّصوص من الْبرديات، والجداريات الْمصرية الْقديمَة إِلَى لغته هو؟! فالغرب، يكتب تاريخنا الْقديم، لم يكتف بتاريخنا الْحديث الَّذِي صاغَه على هواه؟!يبدو أن أساتذَة الآثار عندنا لا يعرفون الهيروغليفية ويعتمدون على ترجمات الْغرب!إذا بحثتَ عمن يكتب تاريخنا الْفرعوني ستكتشف أَنَّهُ الآخر! الأجانب بمن فيهم الإسرائيليين، هم الذين ينقبون ويكتشفونَ ويسجلون النُّقوش والنصوص.بردية (كتاب الْموتى) محفوظة لديهم بالْمتحف الْبريطاني «جيمس برمسيتد» أمتلك قدرَة الْبحث فِي كل النُّصوص الَّتِي تم إكتشافها حتَّى أوائل الْقرن الْماضي وقام بترجمتها للفَرنْسِية ولم تترجم للعربية حتَّى الآن! نحن نُفاجأ بأن هُنَاكَ إكتشافات حديثَة تملك برديات أو نصوص تدخل الرَّيب و الشّك فِي ما عرفنا، هُنَاكَ أخيرًا ما يعرف بمخطوطات (الْبحر الْميت) مَنعَت إسرائيل الْباحثين من الاطلاع عَلَيْهَا، وكل بضع سنوات تخرج علينا بمعلومَة وتقول وجدناها فِي هذه الْوثائق؟!»

إنَّه الْموَّال اليومي الَّذِي أسمعه من زوجتي، فقد أصابتها لعنَة الْفراعنَة، إنَّها منكوشَة الشَّعر، مُنْكبَّة على كتب، وقصاصاتٍ لصحف، وفي كل يوم أستعير لها الْمزيد من مكتبَة جامعَة ليون، لم تعد مشغولَة بالْمطبخ، ولا الشّوبنج، ولا علي، .أصبحنا نأكل الطعام السريع الْجاهز، وأصبح علي يحب بابا أكثر - يقولها نهاراً جهاراً- وهِيَ لا تهتم! فأنا الْحريص على شربَة للبن، ولو كلفني ذَلِكَ بضع ساعات فِي «الْبرك» أو «الزو» كما يهوى مذاجه أحاول الدُّخُول للزوجَة. أُلاعبها أحياناً.. فبملاعبَة الأحبة نصحَ نجيب محفوظ!! فأظهرَ إهتماماً بدنيا الْفراعنَة، ولكنِّي أمل، وأرجع فِي كل محاولَة أردد: فعلى نفسها بغت براقش!!

أنا - ماذا لو كنت السَّادات، وقال لك بيجين كم هِيَ عظيمَة الأهرام الَّتِي بناها أجدادي اليهود الْقدماء؟

زوجتي- أقول لَه، يا بيجن، شد اللحاف عليك.. واتغطى كويس.

أنا - وتقولي إيه لإبنك علي وهو بيدعي «ربِّ لا تذرني فرداً»؟

تغالط، وتهرب، وكأنَّها لم تسمع، وتستمر فِي توهَة الْفراعنَة..

- تصور أن «إيمانويل فليكوفسكي» أقحم الْوجود اليهودي فِي ثنايا تاريخ مصر قرأ «فليكوفسكي» دراسَة فرويد عن «موسى والتّوحيد»[1]*

(1) حسب رأي فرويد فإن موسى ينتمي الى الطبقة الأرستقراطية والفرعون، وهذا ما سيؤدي الى فهم الدوافع التي كانت الأساس الى عدد من القوانين التي قننها موسى

فكانت هذه الْقراءَة هي نقطَة التَّحول فِي حياته وبعدها نذرَ نفسهُ وعلمهُ لهدف وحيد أسماه "الطب النَّفسي التّاريخي" وبه فسر التّاريخ واختار تاريخنا نحن الْمصريين بالذات؟

فيما بعد للشعب اليهودي فموسى أعطى اليهود ديانة أخناتون (فرعون التوحيد) الذي فرض على المصريين ديانة توحيد صارمة (حكمه إستمر منذ عام 1375 قبل الميلاد الى عام 1358 قبل الميلاد) إنتهت بقتله وإجبار الناس على التراجع عن دين التوحيد الذي كان قد أمرهم أخناتون به ومن المحتمل أن موسى علَّم اليهود ديانة أخناتون التوحيدية من جديد.

يطرح فرويد فكرة أن عقيدة التوحيد الموسويه هي ذاتها العقيده التي نادى بها أخناتون في إصلاحه الديني، و هنا يطرح فرويد أن موسى إلتقى بأخناتون، و هذا إحتمال ليس مستبعد، حيث أن أوائل العبرانين، وصل الى مصر قبل بدءأخانتون إصلاحه الديني كما بين (قنوهل إلاسرائيلى) أنهم وصلوا عام 1370ق.م، أي قبل إصلاح أخانتون بفتره جيده، و كان من مصلحة العبرانين أن يتبعوا أفكار أخناتون لأنها في الأصل تعادي السلطات الدينيه، تلك الاخيره التي تسببت بالأذى الكبير للعبرانين أو طبقة العبيرو التي ظهر منها موسى.- كان أخناتون مجددا دينا، فقد رفض ديانة الأباء و جاء بديانة جديده إلى الوجود رفض فيها كل الأله القديمه و أقر فقط بألوهية أتون، حتى أن إسمه قبل أن يظهر بهذه الديانه الجديد كان إمنحوتب الرابع، وغيره حين جاء بالديانة الجديده إلى أخناتون والذي يعني (هذا هو الذي يجلب الفائده إلى الإله أتون)، كان الإله أتون هو النور الذي يتجلى بالشمس، بعد هذا بدأ أخناتون بمحاربة الأله الأخرى و نشر ديانته الجديده -؟

وأعود لنفسي وأسأل من يُوقِف الْقطار؟ وأُردِّدعلى نفسها بغت براقش!!

وهِيَ تستمر ولا تتوقف

- لأن لا أحد غيرنا فِي الْعالم يَسمح لَه بذلك. كتب كتابه عن «أوديب وأخناتون» والذي جاء تشويها متعمَّدًا لعقيدَة التّوحيد بهدف هدم شخصية أخناتون فتحوَّل أخناتون عنده من داع إِلَى فكرَة التّوحيد إِلَى مجرد حامل لشعور عدائي تجاه أبيه، ومرتبط مَرَضياً بأمه، وبالتّالِي فكل ما جاء به من إصلاح ديني لم يكن غير ترجمَة لخيال مَرَضي مكبوت، فأخناتون هو الأصل التّاريخي لشخصية أوديب، وهو لم يشتهِ أُمَّهُ فحسب بل زنى بها! فأخناتون ليس ثائراً أو قديساً، لكنَّهُ مجرم خسيس قتلَ أباهُ ليزني بأمه. تصور؟! وإنتهى فليكوفسكي[1]* هَذَا من كتابه "أوديب وأخناتون" سنَة 1945م

(1) فليكوفسكي في كتابه «عصور في فوضى» يعمد إلى تزييف الحقائق التاريخية لتأكيد الأساطير اليهودية انطلاقاً من فرضية تذهب إلى أن ثمة خطأ وقع في تأريخ التاريخ المصري القديم، حيث توقف تاريخ مصرعند لحظة محددة مع نهاية الأسرة الثانية عشرة في الدولة الوسطى بدخول الهكسوس إلى مصر، ولأن هؤلاء الغزاة كانوا بدواً برابرة لا يحترمون الحضارة ولا يعرفون حتى الكتابة فقد حطموا حضارة مصر ولم يحاولوا أن يتعلموا شيئاً من المصريين لذلك لم يتم تدوين شيء ذي بال طوال فترة احتلال الهكسوس، بينما كان بنو إسرائيل وقت دخول الهكسوس إلى مصر في طريق الخروج لشبه جزيرة سيناء، ووقت فوران أحداث جسام لم تسمح بتدوين واضح كامل لتلك الأحداثب بالطبع كما هو واضح الهدف من هذا التزوير هو تبرير لماذا لم تسجل المدونات المصرية عملية «خروج بني إسرائيل» من مصر؟

وأُجل نشر الْكتاب لعشرين عاماً ليصدر الْكتاب سنَة 1965م؟! ليرحب به الْغرب واليهود. إنَّها الْبداية لرفع فكرَة التّوحيد عن الْفراعنَة، ثم يحوِّلنا السيد فليكوفسكي إِلَى «حرامية» لفلوس اليهود وثروتهم؟!

- كيف؟ وليس بعيداً أن يقيموا علينا مستقبلا دعاوي إسترداد؟

- الثروَة الَّتِي جمعتها أمَّة اليهود وتراكمت على مدى مئات السنين من الْعمل، والإستقرار على أرض فلسطين، والغنائم الَّتِي جمعها الْملك شاؤول محرر الشّرق، ومن بعده الإمبراطور داوود وأضافَه لأرباح تجارَة الْملك سُليمان مَعَ آسيا وأفريقيا وهدايا ملكَة سبأ.كل ذَلِكَ لهفة الْملك تحتمس الثالث كما هو منقوش على معبد الْكرنك، فيكون الْمصريون سرقوا كنوز اليهود.!!

- وهل الأمر مكتوب على جدران الْكرنك؟!

- إنَّهُ يدعي أنَّها الْقراءَة الصحيحَة، لأنَّهُ وحدَه الَّذِي قرأ باطن النَّص وربطَه بغيره!! وعلى نفس الشَّاكلة تحدثوا عن الْوجود التَّاريخي لليهود فِي مصر الْفرعونية، كتب ذَلِكَ فِي كتب ثلاثَة حملت عناوين «من الخروج إِلَى الْملك أخناتون»، «الأرض فِي إضطراب» وكتاب «رمسيس الثاني وعصوره» وتشكل هذه الْكتب مُحاولَة وظفت مختلف الْمعارف الْعلمية بما فيها الْجيولوجيا لإعادَة ترتيب الْمفاصل الأساسية التاريخ مصر والشرق

الْقديم. إعتمدت على فكرَة ضبط إيقاع أحداث التّاريخ الْمصري مَعَ إيقاع التّاريخ الإسرائيلي، عملية رتق وقص ولزق، بل كسر عنق كل الْحقائق. التّاريخ الإسرائيلي الذي يقف دون شواهد أو توثيق يؤكد مصداقيته حتى الْقرن التّاسع قبل الْميلاد، أُعيد إختلاقهُ وضعياً بهدف له غرض.

– أتقصدين أنَّهم فعلوا ما فعلته الْممثلَة «برجريت باردو» حين سبَّت الإِسْلام والْمسلمين بسبب أضحية الْعيد الْكبير، وفي الْمحكمَة أعلنَت أَنَّهُ ناموس فاسد؛ لأنَّ ذبيح النَّبي إبراهيم هو ابنه «إسحاق» وليس ابنه «إسماعيل»؟!

– شيء يُشبه ذلك.. فمثلاً: الذي دمر جيوش الهكسوس ليس أحمس الأوَّل، لكنه الْملك شاؤول.أول ملكوهم! هَذَا الْملك هو الذي حرر مصر من الهكسوس!! وغيَّر مسار التَّاريخ فِي الشّرق وأتاح لمصر أن تنهض من جديد! مفتاح النَّظرية الْمخربَة هو خلق تزامن بين التّاريخين الْمصري والعبري مغفلة فجوَة عمرها ستمائَة عام؟! لا تتردد فِي إختلاق كل الْوقائع لسدِّها، وحتى إستخدام كل علوم الدُّنْيَا الْحديثَة جاعلَة الْوجود الدِّينِي ملتصق بالوجود التّاريخي؟! ليصل إِلَى أن الْملكَة حتشبسوت كانت معاصرَة للملك سليمان وأنَّها بالتَّأكيد ملكَة سبأ التّوراتية الَّتِي أتت إِلَى أوراشليم عاصمَة الإمبراطورية الإسرائيلية الْقديمَة فبلاد «بونت» الَّتِي أبحرت إليها حتشبسوت هي

أوراشليم- أرض الإله- وليست سواحل الصومال أو جنوب شبه الْجزيرَة الْعربية كما هو ثابت تاريخياً؟! فأوراشليم هِيَ الَّتِي بهرت حتشبسوت بفنها الْمعماري اليهودي وخَاصَّة هيكل سليمان، فرجعت لتشيد على شاكلتهِ معبد الدير الْبحري!! إنَّه تهويد تاريخ مصر

- وأنت حتثبتي إيه يا حرم آمون رع؟

- أثبت أن عصر أحمس الأول لا يتزامن مَعَ عصر شاؤول وداود، وعصر حتشبسوت ليس هو عصر سليمان، وأن عصر تحتمس الثالث لا يوازيه عصر رحبعام بن سليمان، إن لديهم مشكلَة الْفجوَة التّاريخية من كون ملوك إسرائيل عاشوا فِي الْقرن الْعاشر قبل الْميلاد كما هو ثابت فِي التّاريخ الإسرائيلي وطرد الهكسوس على أيدي أحمس الأول تم فِي الْقرن السَّادس عشر قبل الْميلاد (1580 ق. م) هذه الأعوام الستمائَة غير الْمفسرَة والْمجهولَة، غطاها تاريخ موثق ومتتابع ومدون للتاريخ الْمصري

- الْفجوَة التّاريخية لا تزال قائمَة؟

- كيف؟

- إِنَّنا إذا لم نُعجِّل سيكون الْفرق بين علي وأخيه أكثر من 6 سنوات وأكون بدأتُ الْعقد الخامس.

- لستُ مستعدَة لطفل، علي أخذت لَه 4 سنوات إجازَة، وهِيَ الْمدَة

الْقانونية الْمسموحَة، أريد أن أرجع لعملي، سأعوض ما فات بهذه الْبحوث.

وصلت طعنَة بروتس للقلب، فلماذ كل حب أورثني طعنة في القلب! فأخذت علي وتركت الْبيت، لا بأس بالْحديقَة الْقريبَة، واللعب مَعَ الصَّغِير، كم هو جميل فِي هذه السن.كيف لم أَثُر، وأكسر الأطباق، وأحطم الْمرايا؟ كيف لم أهدد بامرأة سواها؟ أكبرت!! أكبرت على الثورَة والغضب، أحنُ لغضبي وأكره عقلي في هذة السن!! أم أن الْحب طاغية يتيه فوق كافَّة الْقِيَم وفي ركابه ننسى أعمارنا، لا تُكمله الْفضائل، ولا تنقصه الْمثالب، نقائصنا تلوح فِي تاجه حسناً؟! أم أنِّي نوع من الْبشر أحب أو أموت! العقل يقول لي لم يبق لي من حق الغضب إلا علي ولدي علي.وصلنا لباب الْبنايَة نظرت كما تعودت على صندوق الخطابات لعل أحدًا من الْمحروسَة يرسل بخبر، وبخاصة بعد أن أعلنا الجميع على عنواننا.

وجدت خطاباً غريباً بخط عربي على مظروفه، الْحروف فيه بدون همزات!!

أفتحه.

وأقرأ...

جَمَلي الْجميل.

من: هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ «كازينو الساحر» أنا هُنَاكَ

حيث الْحياَة بلون الْبحر.الأحباب دوماً بين أحضان الْوجدان وعلى جدران الذاكرَة لوحات جميلَة لا يأتي عَلَيْهَا غبار النِّسيان. أحبك.وأُقَبِّل مفاتنك الْمتردِّدَة، ذكرياتي معك تكفيني، وتعصمني من فتنَة الرِّجَال فيما بقي من الْعمر!! فكم كنت نبيلا، حين خفت على عذريتي وقت الذروَة. هَذَا إحساس نادر فِي الْعشق. كشفت سري ولكن أتحبني رغم ما كان؟! لأني أحرص على هَذَا الْحب الَّذِي نتائجه مستحيلَة.

أحكي قصتي: سبق لِي أن أُجْهضت! كان الْفاعل من الْمحارم؟ كسر قلتي!! وبالتّالي لم يكن الْحل الزَّوَاج، إنَّك لا تعرف كيف تم الأمرمعي؟ ماذا فعل الرِّجَال والنساء، كيف تجد الْكراهية باسم التّبرك بالدين، لقد حرمت بسبب الْقسوَة والجهل والخوف والسرية من أن أكون أُمًّا فِي الْمستقبل؟ إجتمعَ عليَّ نساء الْقبيلَة بخبرتهم الْجاهلية فِي إسقاط أنثى إعتبروها عاهرَة فأسقطوها للأبد. دبرت أمري، سأعود بعد شهر، بالطبع ستستمر معي بالشقة «الاستوديو»

يا أغلى النَّاس أحبك للأبد.

«زبيدَة- زوجتك

الجزء الثالث

كاسيت زبيدة

قال عم بيقولوا صار عندك ولاد

أنا والله كنت مفكرتك برأت البلاد

شو بدي بالبلاد! الله يخلي الولاد

بيطلع ع بالي أرجع أنا ويَّاك

ترجع على رأسي رغم العيال والناس

أنت الأساس وبحبك الأساس

فيروز

الفصل الأول

هل أصبحت زوجاً للشيعية، بهذا العبث الذي كان شاهداً عليه رواية برهان العسل؟ في لعبة الروايات أم مؤمن آثم بفعله يطلب من ربه الغفران؟!

فحكم مرتكب لكبيرة الزنا مختلف فالخوارج يرون بأنّ مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار.، والمعتزلة يروا أنّ مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتين والمرجئة يرجحون أنَّ صاحب الكبائر مؤمن كامل عند الله بعد أن يكون مقرراًبالتَّوحيد كما لا تضرّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع الكفر طاعة فهم قوم يرونَ أن الإنسان غير منشىء لإفعالة، أهل السنة والجماعة عندهم أنَّ صاحب الكبائر مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه و إن شاء عذبه في النار على ما كان من العمل ثمَّ يخرجه منها فلا يخلده فيها.إنَّها تفاصيل علم الكلام ولكن التوبة النصوح باب النجاة، يتوب مرتكب الكبيرة وينوب ويندم ولايعود للكبيرةويتجنب الصغائر..

أما زواج المتعة ما أظن لها نظيرًا في قضية فقهية أخرى هو: أن يتزوج الرجل المرأة مدة معينة، ينتهي النكاح بانتهائها من غير طلاق.وليس فيه وجوب

نفقة ولا سُكنى.ولاتوارث يجري بينهما إن مات أحدهما قبل إنتهاء مدة النكاح.

ما عرفت موضوعًا أرقني وأرهقني مثل هذا الموضوع، أصعب ما تكتشف أن ما تتعاطف معه وجدانيًا ليس بالضرورة هو الصواب، فقد يكون وقد لايكون، وأن الصواب المطلق أحيانًا عسير المنال، خاصة إذا كان لدى الطرف الآخر من المنطق بقدر ما لدينا من الشك، وعنده من الحجج بقدرما عندنا من علامات الإستفهام ليس الأمر أمر لوم أو تساؤل بقدر ما هو أمر تمهيد لرياضة ذهنية مرهقة، ما أظن لها نظيرًا في قضية فقهية أخرى،فطرفا الحوار مختلفان أشد الإختلاف السنة ترى أن المتعة حُرمت إلى الأبد،والشيعة ترى أن المتعة حلال إلى الأبد،والسنة تستند إلى مراجعها المعتمدة من صحاح وسنن ومسانيد وتفاسير، والشيعة تبالغ فى إستعراض قوة حججها بالإستناد إلى نفس المصادر والإعتماد على أحاديث واردة فيها عندهم؟ والطرفان يحتكمان إلى نفس الآيات القرآنية "والْمحْصَناتُ مِنَ النّساءِ إلاّ مامَلَكَتْ أَيمانُكُمْ كِتابَ الله عَلَيكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذَلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيرَ مُسافِحينَ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَريضةً ولا جُناحَ عَلَيكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعدِ الفَريضَةِ إنَّ الله كانَ عَليماً حَكيماً"،لكنهما يخرجان منها بتفسيرات. ودلالات لا تلتقي أبدًا ولا تتفق مطلقًا، بل يخرج هذا بعكس ما يخرج ذاك ويؤكده، ويخرج ذاك بنقيض تفسير هذا وبسنده،وكل طرف يلقى بحجته فتظنها نهاية المطاف فإذا بالطرف الآخر يثبت لك أنَّها بدايته وأنَّها مردودة وأنا حائر

في اختياري، خائف أن أكون تزوجت متعة، وأنا أرفض زواج المتعة كما رفضه كبار الصحابة وأئمة التابعين عمر، وعبدالله بن الزبير، والأئمة الخمسة، أبو حنيفة ومالك والشافعي، وابن حنبل، وزيد، وغيرهم كثير وهؤلاء، لايجتمعون على خطأ أو ينتصرون لباطل، وهي تقبل بزواج المتعة، وترى إنكارة في الدِّين من جانب السنة، كأنكار الكنيسة لمريم المجدالية وعندها جمعًا آخر من كبار الصحابة والتابعين قد ناصروه، منهم عبدالله بن عباس،عبدالله بن مسعود، وأُبَيّ بن كعب، وابن جريج، وقتادة، وسعيد بن جبير، وسعد بن المسيَّب، والإمام جعفر، وما أظن أن هؤلاء أيضًا يجتمعون على خطأ أو ينتصرون لباطل [1]*و

(1) يرى الشيعة بان الرسول لم يحرمه وإنَّما حرمه عمر بن الخطاب وروى مسلم في صحيحه : عن ابن أبي نضرة قال : كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر، فقال : على يدي دار الحديث : تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج والعمرة وأبتوا نكاح هذه النساء، فلئن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة.
وفي ما ذكره الفخر الرازي عن فضل زواج المتعة عند الإثنا عشرية «الشيعة» عن الباقر قال قلت: للمتمتع ثواب ؟ قال إن كان يريد بذلك الله عز وجل وخلافا لفلان لم يكلمها كلمة إلا كتب الله له حسنة وإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبا فإذا إغتسل غفر الله له بعدد ما مر من الماء على شعره قال قلت بعدد الشعر قال نعم بعدد الشعر قال الإمام ابن المنذر: (جاء عن الأوائل الرخصة فيها ولا أعلم اليوم أحدا يجيزها إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقولٍ يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) وقال القاضي عياض: (ثمُّ وقع الإجماع من جميع العلماء على تحريمها إلا الروافض).

أثارني تكرار النسخ في مسألة المتعة وتبين لي أنّهُ أمر إختلفَ فيه أهل العلم، يرى أهل السنة أن الرسول قد نهى عنه يوم خبير أو يوم الفتح والذين قالوا : حُرِّم يوم خيبر قالوا : ثم أبيح في غزوة الفتح، ثُمَّ نهي عنه في اليوم الثالث من يوم الفتح. وقيل : نهي عنه في حجة الوداع، قال أبو داود : وهو أصح ويقول الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : لا أعلم في الإسلام شيئا أُحل ثُمَّ حُرِّم ثُمَّ أُحِلَ ثُمَّ حُرِمَ غير المتعة وترجيح النووي فيه بعد سرده قوله والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين، وكانت حلالاً قبل خيبر ثُمَّ أبيحت يوم فتح مكة، وهو يوم أوطاس لإتصالهما، ثُمَّ حرمت يومئذٍ بعد ثلاثة أيَّام تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة وإستمر التحريم شرح مسلم 553/ 3.

فلماذا حُلِلت ثُمَّ حرمت،

ثُمَّ حللتَ ثُمَّ حرمت؟

اللهم لا إعتراض

وقال الإمام القرطبي: (الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل وأنَّهُ حُرِّم، ثّمَ أجمع السلف والخلف على تحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض). وهذا الإجماع القطعي في التحريم، مستنده الكتاب والسنة.

قوله تعالى: (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) [النور: 33]. ولو كانت المتعة جائزة لم يأمر بالاستعفاف ولأرشد إلى هذا الأمر اليسير، وقد تحققنا قيام أمر الشريعة على اليسر ونفي الحرج.

الفصل الثانى
قانون جاسو
حماية السامية

كان الْوقت ذات مساء حين دق جرس الْباب.

نحن نستغرب ذَلِكَ بالطبع؟ فلا أحد لنا بفرنسا.. خَفَفتُ من إزعاج زوجتي، بأَنَّها ستتسلم الآن هدية - كوعد الْفَرَنْسِية السَّابق- الذي حصلت بناء عليه على عنوان منزلنا. ولكن كانت مفاجأَة أخرى عند فتح الْباب؟! فرنسي فِي زي حكومي يُسلِّمني "إعلان" بمثول زوجتي أمام قسم التّحقيقات الخَاصَّة بليون؟!

أسأله: لماذا؟! وكيف عرفوا عنوان بيتنا؟ وما الْجرم؟ لا إجابَة.. إنَّهُ موظف عمومي يحمل أسفاراً. أوقع على الإعلان فِي ذهول، وهو إعلان بلا أي هوية يعلنها بالْحضور خلال 48 ساعَة السَّاعَة 10 ص للإدلاء بأقوالها فيما هو منسوب إليها، أمام قسم التّحقيقات الخاص (The judicial police) وهو يشبه النَّيابَة عندنا، وهو قسم يعرف

بالشرطَة الْقضائية أي له عمل الإستدلالات وبعض أعمال التّحقيقات.

إكتشفتُ بمناقشَة زوجتي بدقَّة فِي الأمر.. أنَّها أخفت أمرين وأتمنى أن يقتصر ما أضمرته عليهما فهِيَ تُضمر الْكثير كعادتها.

الأول: أنها لا تزال تُدمن حبوب منع الْحمل!!

الثاني: أنها أرسلت بمقالة لمجلَة فرنسية بعد أن إستولت عَلَيْهَا لعنَة الْفراعنَة، ولكن الْغريب أنَّها وقَّعَت ما كتبته باسم إستعراضي: (مصرية فِي باريس).

(مثلما "هوَّدُو" تاريخ ألْمانيا بالهولوكست، فغُرَف الْغاز الَّتِي صدَّعوا رءوسنا بِهَا كانت تستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبقع! يبدأ اليهود الآن تهويد تاريخ مصر!! وقد نشر مفكر فرنسي يُدعى بيير ماريه فِي دوريَّة (تحقيق ومراجعَة) الْفَرَنْسِية فِي سبتمبر 1992 مقالا من 3 صفحات بعنوان «غُرَف الْغاز النَّازية حالَة خاصَّة» تناول فيها الْمحرقَة النَّازية من زاوية علمية فقال إنه لو كان الأساس الْعلمي صحيحاً فإن الْفكرَة الَّتِي يروج لها اليهود عن إختناق كل هَذَا الْعدد فِي غرف الْغاز أمر غير ممكن علمياً وعملياً – بسبب كمية الْمياه الرَّهيبَة الْمطلوبة لتنفيذ ذَلِكَ الأمر.. وقالت فِي النِّهاية الهولوكوست غير صحيح وغير ممكن منطقياً. ونقول إن ما سُطر عن أخناتون، والنبي يوسف، وأحمس، وحتشبسوت غير صحيح وغير ممكن منطقي. وذلك على التّفصيل الآتي: ....)

أهذه السطور الَّتِي بدأت بِهَا زوجتي مقالتَها وأرسلتها لمجلَة «ليبراسيون»الْفَرَنْسِية كافية لكل هَذَا الرُّعب رغم أن الْمقالَة لم تُنشر.؟!

ولكن باعادة الإستجواب تبين أنَّها سبق لها أن أرسلت عدة مقالات سابقة..ونشرت، وأن حواراتها معي لم تكن إلا بروفه لهذه المقالات فهي نوع من الكتاب، تكتب ماتنشره برأسها أولاً، فإذا جلست للكتابة كان الأمر مجرد كربون وإنتحال لمافي هذه الرأس، وفي كل مره نكرر المناقشة تلمع معلومة إضافية مثل أنَّها تحصلت على مقابل من اليورو لهذه المقالات..

أفهم الآن «الْبير كامي» حين يقول: إن ما يُعطي قيمَة للتَّرحال هو الخوف!إنَّنا نُسافر للمُتعَة، كذبَة نُصدقها، ليس هُنَاكَ أي متعَة فِي السفر، ولكنَّهُ فرصَة للإمتحان الرُّوحي، فالسفر يعيدنا مرَّة أخرى إِلَى أنفسنا. لا أستبعد أن تستبدَّ بي -عندما أعود لمصر- لوثَة تجعلني كلما صحوت كل نهار أتلقى أمي بالأحضان فِي لهفَة شديدَة إنبهاراً للحقيقَة الْعجيبَة أنَّها بجانبي وأراها كل يوم! بقي عندي سؤال مُؤرِّق.كيف عرفوا عنوان منزلنا؟! وإذا كان هكذا، فلماذا جهلت ذَلِكَ الْفرنسية بنت الْفَرَنْسِية، ذات التّايير الْقصير؟! كان السُّؤَال الأخطر هو الذي فجرتهُ زوجتي، كيف عرفوا اسمها ثلاثياً وقد وقعت باسم كودي»استعراضي رجعي: مصرية في باريس»؟

ولكن هل هذه الأسئلة لها محل فى زمن المخابرات، والعولمة، ومع

فرنسا بلاد الغال..وأعتقد أنَّها الغل..ولكن المسلمون الفاتحون.. نطقوها بحسن نيه وليس النطق السليم.

دق جرس الْباب مرَة أخرى؟

فتحت الْباب طَلَّت الْفَرَنْسِية بلحمها، وتاييرها الْقصير كان لونه أصفر فاقع... ليس هَذَا وقت الأصفر! الغريب أنها قبَّلتني على وجنتي.. فكاد يُغشى على زوجتي أخرجت هديتها وقدمتها لزوجتي- زُجاجَة بارفان مبهجة- باحت زوجتي، وهِيَ تبكي على صدرها بكل شيء.؟! ما إن رأت الْفَرَنْسِية نُسخَة الْمقالَة الْمُرسلَة لمجلَّة «ليبراسيون»الْفَرَنْسِية حتَّى حلت اللوغاريتم؟

الفَرنْسِية - أُووه إنَّه قانون «جيسو»، شَوْكَة الْحالَة الْفكرية فِي فرنسا قانون مُنْذُ صدوره عام 1881 نص على «تجريم كل محاولَة لمراجعَة الْحقائق التّاريخية الَّتِي تؤكد وقوع جرائم ضد الإنسانية بالذات تلك الَّتِي وقعت ضد اليهود، لتظهر تهمَة معادَاة السَّاميَة» [1]*.فالشك فِي

(1) تنظر التّوراَة إلى الأمم والأجناس الَّتِي خرج بهم النَّبي موسى من مصر، ومن انضم إليه من الشّعوب الأخرى أنهم كيان واحد، وبذلك يَكُون يهودي كل من يعتقد فِي الديانَة اليهوديَة، فتكون اليهودية خليطا بين شعوب سامية وغير ساميَة. ولقد فشلت كل الْجهود الَّتِي بذلت من أجل إثبات تاريخية أحداث قصَة الخروج ولم يستطع الْمؤرخون وضع هذه الأحداث ضمن إطار تاريخي محدد. الذي اقترح اسم السَّامية الْعالم الأْلماني شلوترزر للدلالَة على مجموعَة الشّعوب الَّتِي عاشت فِي الطرف الْغربي من الْقارَّة الأسيويَة، مرتبطَة لغويا وتاريخيا وحضاريا، وهي الَّتِي تضم الْعرب والْبابليين والأشوريين والأراميين والسريان واليهود

الهولوكوست، أوالتّشكيك فِي أعداد اليهود الذين ماتوا فِي الهولوكوست هو نهاية الْعالم، الأمر ليس سهلاً.

زوجتي- ولكن مقالَتِي عن الآثار، عن تهويد تاريخ بلادي؟!

الفَرنْسِية- ذكرتي الأمر فِي بداية الْمقالَة (مثلما "هوَّدو" تاريخ ألْمانيا بالهولوكست، فغرف الْغاز الَّتِي صدَّعوا رءوسنا بِهَا كانت تُستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبُقع!) ثم إن الأمر فِي أساسه ضد اليهود، ضد السَّاميَّة.وهناك مقالات سَبَق نَشْرُها بنفس المعنى

قلت - الْعرب «ساميون» يا سيدتي كيف نكون ضد أنفسنا؟! إن اليهود يعتبرونا أولاد عم.. فالجد الأكبر لنا النَّبي إبراهيم؟!

قالت- إن قانون «جيسو»، يحرم علينا الإقتراب من الْفترَة بين عامي 1941 و 1946 ويتركنا أحرارا لندرس ال4 آلاف سنَة تاريخيا كما نشاء؟! فلقد عُوقب بهذا الْقانون الْمؤرخ اليهودي «برنارد لويس» لأَنَّهُ شكَّك فِي مذبحَة الأرمن الَّتِي إرتكبها الأتراك، وحكمت عليه الْمحكمَة الْعُليا الْفَرَنْسِية رُغمَ أَنَّهُ يهودي، لأَنَّهُ إقتربَ مما يُسمى حقائق فِي الْفترَة الْمعنيَّة.

وبعض قبائل الْحبشَة، ويقول الْعالم الْفَرَنْسي الأب هنري فليش: إنه ينبغي أن نفهم من استعمال كلمَة السَّامية أنها ليست أكثر من مجَرد مصطلح لتيسير الأمر على الْباحثين دون قصد إِلَى أي دلالَة عنصرية. انظر، حسن ظاظا: الْفكر الدِّيني أطواره ومذاهبه، دار الْقلم سوريا 1978 ص 103 - 104.

أنا وزوجتي – الْمقالَة لم تُنْشر؟

قالت– نقطَة ليست لصالْحنا، أصل الْمقالَة فِي الْمجلَّة، ونحن لا نعرف مَن أصحابها، ولا إهتماماتهم، ولا الْمصالِح الَّتِي تعنيهم، ولاعلاقاتها بالجمعيات الْكثيرَة اليهوديَّة.النفوذ اليهودي في فرنسا هو أكبر نفوذ يهودي في أوروبا.وهذا النفوذ قديم ومرتبط بالحياة اليهودية في المجتمع الفرنسي، وقد ازداد بعد قيام إسرائيل ومشاركتها في العدوان الثلاثي مع فرنسا وبريطانيا على مصر.ومع ذلك فإن اليهود الفرنسيين بالرغم من مساواتهم في الحقوق مع سائر المواطنين الفرنسيين لم يندمجوا اندماجاً كاملاً في المجتمع الفرنسي.واستمروا في التقوقع حتى لا تذوب الشخصية اليهودية داخل المجتمع الفرنسي.وشدد بن غوريون.على هذه القضية وقال "إن الإندماج في المجتمعات التي يعيش فيها اليهود هو أكبر خطر يهدد اليهودية اليوم».وبالنسبة للقضية الفلسطينية فإن النفوذ اليهودي الموجود في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، أمر واضح في فرنسا.وإعترف الجنرال ديغول بعد حرب 1967 بهذا النفوذ المسيطر على وسائل الإعلام الفرنسية، مما جعل اليهود يتهمونه بمعاداة السامية.كما أن نفوذهم يبدو واضحاً أيضاً عند السياسيين الفرنسيين ذوي المصالح الإقتصادية المرتبطة بمصالح اليهود، وكذلك داخل المؤسسات الإقتصادية والبنوك..

على كل حال ممكن بحث الأمر غداً فِي الْجامعَة، أستأذن بالإنصراف

من ينتظر للغد أيتها الْفَرَنْسِية!!

ليس أمامنا سوى 48 ساعَة – أَتَمثل زوجتي أمام إدارَة التّحقيقات عن جريمَة وهميَّة وقد تُحبس إحتياطياً رهن التّحقيق وقد.؟! هل يمكن ألا يجد ابني والدته معه؟! تكوَّرت زوجتي على ابنها آخذة وضع الْجنين، وكأنها تودِّعه دموعُها تنزف لم أرها يومًا بهذا الإنهيار- أمسح دموعها وأُهدئها دون جدوى.. أحتمي بالْعَقْل، والْمنطق وأنا أُهدِّئ من روعها.. كانت تقول- ناس ما تعرفش ربنا!!.

أُحدثها – والله أنت مكدبتي لا ذِكر في التّوراَة لبعث وجَنَّة ونار وحساب وآخرة، دائمًا مكافأَة الله لعباده وعقابه لهم يَكُون فورياً ودنيوياً؟!

تقول – ماذا سنفعل؟

ارد – هل لنا فِي فرنسا شيء. ما رأيك لو تركناها؟!

إن لدي خطَّة ذات نتائج مزدوجَة، فتكون خطَّة هروب، وقد تكون كوميديا نضحك منها، الأمر يتوقف على الخطورَة. الْمهم لا تسألي إنطلقي معي بالتّنفيذ.

إنتبهت، وأعطتني الإهتمام الْمطلوب، هزت قلبي من الأعماق لحزنها، فعدت لبقايا الْفُرسان بداخلي، بسطت راحَتَيَّ للسماء: «اللهم اجعل حُزننا رمادا كما قلت لنار إبراهيم» كوني برداً وسلاما» ضحكت

وهِيَ تمسح دموعها فأدركت أن النَّحلَة فطرتها الطَّبِيعَة ملكَة؟ إنَّها من أسرَة بشوات، من الذين لا يعرفون الضغوط..أهبط لأتدبر خطورَة هَذَا الإعلان وأَنْت ستهبطين بعدي ومعك علي، فتذهبي للكوافير فتقصي شعرك قصيراً، ثم تشتري باروكة صفراء، ويثبتها لكي الْكوافير بإحكام، وأشتري أيضًا بانطلون جينز ضيق آخر صيحَة، لا أريد أن أرى هَذَا الإندهاش فِي عينيك، إنَّها خطَّة هروب.

قالت: ألا من أمل أن تكون مجرد كوميديا نضحك منها؟!

قلتُ: أحنُ لخبزِ أمي..خلال أيَّام سنغادر.. سبعة سنوات منذُ زواجنا، وأنتِ لاتُضحين، بل يزيد غموضك..كفى؟!

هل كنت أُعُنفها، أم أُعنف نفي؟ألم أكن البادىء بالغموض!

هل نهرب فعلا من قانون جسو..أم من زيجة متعة من مغربية سمراء؟

تركت الْمنزل قبلها حاملا مجموعَة من ملابسنا الْقديمَة، وإتجهتُ بِهَا إِلَى الْمغسلَة وطلبت غسلها وكيَّها، كنت أحب أن يظهر الأمر وكأَنَّنا فِي حياتنا الْعادية وقبل الذهاب لمكتبَة الْجامعَة، إشتريتُ تذكرتين سينما حفلَة الْمساء للتمويه!! إحساس بأَنِّي مراقب - وإن كنت غير واثق من صحته - يفرض عليَّ إتقان الهروب. كانت خطة السِّينِمَا فِي خيالي مُنْذُ فعلها السَّادات يوم قيام الثورَة.هل إنتابته إحساسي وخوفي أم كان حذق

وداهية سياسة؟! في مكتبَة الْجامعَة تبيَّنت خطورَة قانون «جيسو»[1]* فلم تكن الْفَرَنْسِية مبالِغَة - هكذا عرفت الأمر من ملفات الْمحاكم الْمطبوع

(1) منكرو وقوع الْمحرقَة إنطلقوا جميعاً من عباءَة مفكر فرنسي يُدعى « بول راسينيه « نشر عام 1950 كتاباً بعنوان (أكذوبَة أوليسيوس) ذكر فيه أن الْمحرقة مجرد مؤامرَة يهودية عالمية، وأن كل الْوقائع الَّتِي حدثت في معسكرات التّعذيب كانت مجرد أفعال فردية من رجال الصاعقَة الألْمانية، وإنضم لَذلك الْمقاتل الْفَرَنْسي الْقديم في صفوف الْمُقاومَة الْفَرَنْسية « موريس باردِيك « ولم يحاكم اليهود راسينيه بَقانون جيسو، لكنَّهم إنتقموا منه شر إنتقام في شخص تلميذه « روبرت فوريسون «.

وكان روبرت فوريسون هو أشهر تلاميذ راسينييه وكان أستاذا للأدب الْفَرَنْسي رفض بدوره وقوع الْمحرقة ضد اليهود كانت بداية إنكاره حقيقَة غُرَف الْغاز عام 1960 عندما قرأ مؤلفات راسينييه، ووصل إلَى إقناع تام بعدم حقيقتها. ثم بدأ في إرسال خطابات إلَى صحيفَة لوموند الْفَرَنْسية تحمل أفكارَه وفي عام 1987 نشر مقاله الَّذي أحدث ضجَّة شديدَة والذي حمل اسم (أكذوبَة أوشفيت) والذي اعتبره اليهود الْبداية الإستراتيجية الْحقيقية لمنكري حقائق التّاريخ، وأعقب فوريسون مقاله بسلسلَة من الْمقالات في صحيفتي: لوموند والْفرنسيتين يحمل نفس أفكاره الْمنكر للمحارق بشكل أكثر إستفاضَة وتنظيماً بين عامي 1981 و 1982. و قرر اللوبي اليهودي أن الأمر قد زاد عن الْحدِّ مَعَ فوريسون. فبدءوا الْمُلاحقات الْقضائية ضده وأدانه قانون جيسو عام 1982 بتُهمَة الْعُنصرية وإنكار حقائق التّاريخ والتّحريض على الْكراهية الْعنصريَة. وهاجم فورسيبون عام 1990 التّعديلات الْجديدَة على قانون جيسو فابيو ووصفها بأنَّها مقيدَة لحرية الْفكر والْبحث التّاريخي في فرنسا، لكن ذَلِكَ الإحتجاج لم يمنع اليهود من ملاحقته قضائيا عدَة مرات بين عامي 1988 و1990.

أحكامها سنَة بسنَة بمكتبَة الْجامعَة – كانت هُنَاكَ مسرحية إسمها "صديقي فريدريك" تروي قصَة إضطهاد طفل يهودي فِي ألْمانيا فيما بين الْحربين الْعالميتين، مُدرِّس بإحدى الْمدارس الثانوية الْفَرَنْسِية ويُدعى "جان اوي بيرجيه" رأى أن نظام التّعليم الْفَرَنْسِي لا يقدم الْحقائق التّاريخية الْحقيقية فِي فترَة الْحرب الْعالمية الثانية كما ينبغي، وضع نقطَة نظام أمام طُلابه، وعَقِب عرض هذه الْمسرحية قال: لا أريد منكم أن تتأثروا بكل تلك الْمشاهد الَّتِي رأيتموها. تناول الأمر من النَّاحية النَّقدية قائلا: " ستلاحظون أن اليهود الذين ماتوا فِي مُعسكرات التّعذيب أقل بكثير مِمَّا يقولونه لكم، وغالبية اليهود الذين ماتوا لقوا مصرعهم من آثار حصار الْحُلفاء لهم فِي الْمُدن الألْمانية

أما «غُرَف الْغاز» الَّتِي صدَّعوا رءوسنا بِهَا فكانت تُستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبقع «كانت تلك الْجملَة الْعابرَة التي نطق بِهَا الْمدرس الْفَرَنْسِي كافية جداً لكي يبدأ اللوبي اليهودي فِي مُلاحقته قضائياً وجنائياً ومدنياً!! فقام أولياء أمور الطُّلاب بتقديم شكوى لإدارَة الْمدرسَة ضدَّه وحوكم بموجب قانون «جيسو الْفَرَنْسِي» بتُهمَة الْعنصرية ومُعاداة السَّامية وإنكار وقوع جرائم ضد الإنسانية، وحكم عليه بالْحبس لمدَة 12 شهرا وبغرامَة قدرها 10 آلاف فرنك مَعَ تهديد صريح بإبعادهِ من السلك التّعليمي فِي فرنسا.

وإلى جوار الْمُحاكمَة شنَّت جماعات الضغط اليهودي حملَة إعلامية شرسَة عليه وَصَفَتْه فيها بأَنَّهُ نازي يبُثُّ سمومه فِي آذان الطُّلاب وتعقبوا كل محام يدافع عنه، وصنعوا له تاريخاً أسود يصعب تحديد حقيقتهُ من زيفه. عند محاكمة «جان أوي بيرجيه» أمام الْقضاء الْفَرَنْسِي جلست زوجته فِي قاعَة الْمحكمَة تتلوا آيات من الْكتاب الْمُقَدَّس وهِيَ ترتجف، بينما جلس هو هادئاً وعلى وجهه إبتسامَة لا مُبالية

وعندما سألتْه الْقاضيَة: هل تؤمن حقًّا بأن غُرَف الْغاز النَّازية لم توجد قط؟

إتسعت إبتسامته اللامُبالية.

قال - لماذا تسألونني سؤالاً يُجرِّم الْقانون الإجابَة عنه؟ ليس من حقي ولا من حق أي مخلوق أن يفكر مجرد التّفكير فِي الإجابَة عن ذَلِكَ السؤال[1]*

يبدو أن اليهود لن يتركوا أحداً فِي دراستهِ يوماً واحدا إذا تعلق الأمر بتاريخهم دون أن يلاحقوهُ ويحاكموهُ ويمزقوهُ إرباً لو لزم الأمر، وفي نفس الْوقت سيذبحون كلَّ مَن يُحاول إضافَة حقائق جديدَة للتاريخ تضم

(1) باحث تاريخي هو برنارد نوتين أستاذ الإقتصاد الْفَرَنْسِي بجامعَة ليون الَّذِي نشر عام 1989 فِي مجلَة " إقتصاد ومجتمعات " الْفَرَنْسِية بعنوَان: دور الإعلام فِي تغييب الْوعي الْقومي. أنكر فيه بشكل حاد وقوع الْمحارق النَّازية، فلاحقه اليهود قضائياً بنفس الشّكل الحادِّ وحاكموه. ثم أدانوه بموجب قانون جيسو

الْمذابح الَّتِي يرتكبونها هم.

فهل يتركوننا؟!

كانت أغرب قضايا مُحاكمَة مُفكِّر بموجب قانون جيسو هِيَ قضية الْمؤرخ الْفَرَنْسِي»جان بلاتين» الَّذِي أصدر3 أعداد من مجلة تاريخية نشر فيها عدَّة مقالات تتناول الْفترَة فيما بين الْحربين الْعالميتين، وتوصَّل فيها إِلَى نفس الْحقيقَة الأساسية الَّتِي يتوصل إليها كل من يُحاكم بقانون جيسو أن الْمحرقَة النَّازية فِي مُجْمَلها مجرَّد أكذوبَة كبيرَة، وكالعادَة أطلق اللوبي اليهودي قانون جيسو فِي مواجَهتهُ. لكن الْمفاجأة الَّتِي إصطدم بِهَا اليهود كانت إستحالَة تطبيق قانون جيسو على الدَّوْريات الَّتِي تفصل بين صدور أعدادها مُدَّة زمنية طويلَة، وكانت هِيَ حالَة بلاتين الَّتِي كانت تتخلَّل فترَة صُدور أعداد دورية فِي السوق الْفَرَنْسِي فترَة طويلَة، ألا أن ذَلِكَ لم يوقف اليهود؟!..

فلم يستخدموا قانون جيسو لعام 1990. إستخدموا نُسخَة قديمَة للقانون صدرت عام 1949 وإستخدموا مادَّة فيه تنص على ضرورَة حماية الْقصر من الْمواد الَّتِي تُزيِّف حقائق التّاريخ ونجحوا فِي تغريمه: 30 أَلْف فرنك لـ3 جهات يهودية مختلفَة، ونصحوه بأن يكف عن الخوض فِي مثل هذه الأمور حتَّى لا تصل غرامتهُ إِلَى الْحد الأقصى الَّذِي يُحدِّده قانون جيسو وهو 300 أَلْف فرنك.

الفصل الثالث

المصائب لا تأتي فراداً؟!
وماَهمني أن خرجتُ من الحب حياً
وماَهمني إن سقطت قتيبَل

أخرج من الْجامعَة، فأجد في وجهي وجهاً أعرفهُ منذُ سبعة سنوات، إنَّها الكاتبة التي أوقعتني في شباكها بداية زواجي، ثُمَّ فسرت الأمر إنَّها تحبني ككاتبة تريدني حبراً للقلم لا للغرام؟ لم أتوقع ال»جرسة» المكتوبة عني في روايتها، كتبت(كما يمكن أن نقع في الحب من أول نظرة – يحدث ذلك أيضاً عند الكتابة– عشقه قلمي ليكتب عنه كان رجل للكتابة يملك التناقض المولد للأحداث أحبني كأميرة وأحببته كرواية أكتبها في العشق!! ذله قلم أنه لم يفهم كاتبة وذله قدر أني لم أفهم رجل؟!)...

من يصدق نسائي كلهن في فرنسا؟

أتجاهلها..ولكن العيون مست العيون، فأقبلت ضاحكة..ولعلها فرحت بصحبه عاشق قديم، يرتكب نفس الأخطاء بأطراد؟!

الكاتبة: أنت في فرنسا؟ الدنيا قرية صغيرة

أنا: ولكن أنت ماذا تفعلين بفرنسا؟

قالت: ترجموا الرواية التي لم تعجبك للفرنسية وأنا ضيفة على المعهد العربي الفرنسي لاتحدث عن تجربتي في الكتابة

قلت – تجربتك قلتيها فى روايتك قلتى: " اتركة.. ليس بحثا عن رجل آخر بذاتة ولكن رجل لاكمال مشوار الكتابة!! فالكتابة عند المراة فبها التعدد: مثنى، وثلاث، ورباع يالغواية الكتابة!!).. تجربة غانية.

– الرجل الذي أُحبُهُ لا أفرض عليه حبي..وإنَّما أقول له: أستمر أنت في مشاعرك الأخوية ودعني وعشقي..حتى أُشفى منك.أو تجن بي فلماذا لم تعمل بهذة النصيحة!! قلمي هو بحري بيني وبينه مد وجزر يناديني أسرع إليهِ أرتمى على صفحة ورق بيضاء أستسلم للأحبار كما لم إستسلم لأي رجل وكيف لا أفعل أليس في الإستسلام للكتابة أجمل الحرية..يا أي رجل القلم بيننا.

إقتربت في ترضية تضع قبلة على شفتي مهتبلة سماحة ليون مع العشاق، ولكني ردتها في سابقة لي تعجبت لها؟كانت كعادتها قد وضعت صدرها في مشد (سونتيان) أصغر منه بدرجتين، وتركته يصرخ من الضيق تحت رقبتها.

قالت – تحمل شخوص محبرتي إذا خرجت للورق؟ كيف أحلم برواية تحقق ما قالة (فلوبير) عن المؤلف «يجب أن يكون، شأن الله في الكون، موجوداً في كل مكان، لكنَّهُ لا يُبْصَر في أي مكان»

قُلت –لكنَّهم يبصروننا!!

قالت – كيف لايبصروننا؟ والنقدالأدبي يدخل كالبوليس بدون إذن النيابة غرفة الرواية ويفتش محتوياتها ويتلصّص على أسرارها، وأدراج خزائنها، وألبوم صّورها، ورائحة سريرها، ومرآة حمّامها. المرآة التي إعتادت وجهها وخبّأت تضاريسة قلت– لم يكن النقد بل الأصدقاء، لقد فضحتيني بكتابة فوتوغرافية حتى لوحتى المقلدة لبيكسو فوق المخدع زكرتيها كانت روايتك كحقيبة كثيرة الجيوب السريةٍ مرتبة بنية تضليلية.فمنذ الصفحة الأولى تبدين مشغولة بترتيب حقيبة ذاكرتك في غرفة خاصة، وكأنَّك لاتشعرين بوجود القارىء..ولكن القارىء لايقاوم شهوة التلصص على ذاكرة مبعثرة على سرير؟! فتروحى تقص عليه أسراراً ليست سوى أسراري! فإذا بنا تكتشف أنك لم تبعثرِ سوى ثيابي، منامتي، أدوات حلاقتي عطري.! فالحقيبة كثيرة الجيوب السرية لم تفرغ منها على مخدعك إلا "جيب واحد" ذاكرتي أنا؟! فإذا بها تتلصص علي، في الوقت الذى توقع القارىء أن يتلصص عليها؟! فيراني عارياً؟!بعد أن اقنعت القارىء أنّها ستخلع تنورتها؟!

قالت– خطأ غير مقصود، أثناء الإنشغال بتنظيف سلاح الكلمات،

فلا داع لتوهم جريمة محبرة مدبرة؟ كل مافي الأمر إنَّ القلم شد سوستة الجيب – الذي كنت تريد أنت سترة – مع أن الرواية لاتعرف الستر؟ للقلم سطوته؟ حين تكون كائناً حبرياً فلا تخاف من رؤية نفسك عارياً، لاخوف عليك من قشعريرة مرتجفة على الورق أمام بركة حبر.لقد إنتهيتُ كشخص وبدأت كشخصية.

قلت: من يحب لا يقبل منطق الروايات..لقد كنت في قصة تجسس لا غرام؟ لقد كتبتيني، حولتيني من ذات، لشيىء آي شيىء. فهل إختراق الحياة الشخصية التنصت على الأخرين، ممارسة حيل النصب العاطفى في الرواية مباح؟!

قالت: قولي أنتِ ماحدود الرواية لديك إقرات رواية "التلصص" لصنع اللة إبراهيم غواية الكتابة نالت ابيه؟ إن"حنان الشيخ" تأخذها غواية الكتابة لحد فضح سيرة أمها إنَّها غواية الكتابة.ذنباً جميعاً.جرائم حبرية. نيران صديقة.قدر سردى أحمق الخطى الرواية جنس عصىً على الحد، إنَّها جنس بلا قانون؟!بل وطفيلياً إذ لا شيء يمنعة من أن يوظف لغاياتة الوصف والسرد والمسرح والمقالة، والتحليل، والمونولوج، والخطاب، وأنت؟ و..كيف لاأكتب عن رجل يقع فى الغواية فى شهر عسل عرسه؟! هل أنت حزين لأنك كنت في شروع في الخيانة معي؟! عليك أن تقدر

لقلمي أنَّهُ أنهى الرواية قبل أن يصل غيك لمنتهاه.

أنهيت اللقاء بتسليمها تذكرتي السينما والإشارة لها لدار الخيالة محل العرض

قالت: لماذا تذكرتين؟ مستمر فى إهانتي، غانية أنا يسهل علي إيجاد رفيق بالسينما

أخرجت شعالتها وأحرقت التذكرتين..وإنصرفت

ما زلت أتساءل أين أضع حبك اليوم؟ أفي خانة الأشياء العادية التي تحدث لنا يوماً كأَيه وعكه صحية أو زلة قدم.. أو نوبة جنون؟ (أم) أضعه حيث بدأ يوماً؟ كشيء خارق للعادة، كهدية من كوكب، لم يتوقع وجوده الفلكيون.

ترى من على حق؟! أنا المتوهم أنَ لي حقاً تاريخياً معك، أم أنت من تحسين أن مكاني هو صفحات روايتك؟

لم يعُد صَدْر فرنسا موطني.. ولا أرض الهوى أرضي. مُستَحيل أن أبقى هُنَا.. فهنا يبكي على بعضي بعضي. أتَّجه إِلَى صالون حلاقَة على الْجانب الآخر من الْميدان الْواسع، إحساس بأَنِّي مُراقب وإن كنت غير واثق من صحته - يفرض عليَّ فكرَة التّنكُّر؟! إنَّهُ الخوف الْغامض.أطلب من الْحلَّاق أن يحلق شعري»زيرو» وللدَّهشَة طلب مني أن أختار بين عدَّة قصَّات! تنتهي الْحِلاقَة، أنظر فِي الْمرآة فأجد شبيه «لبول برينر» أشهر ممثل عالمي أقرع.أترك الْمكان. لم يبق إلا الهروب مَعَ زوجتي الْحسناء الْمُعدَّلَة بالشَّعرالأصفر الصِّناعي، تخرج

من فرنسا بدون حجاب بفقه الضَّرُورَة ومنطق الْغُرْبَة؟ أَيُمكن أن تدعوني فرنسا لوليمَة للحزن..أتكون هذه الأرْض محترفَة للعشق.والخوف بالتّساوي؟

قصتي مَعَ فرنسا لها عدَّة بدايات، ولكن تأتي النِّهايات غير الْمُتوقَّعَة إنها مَقالِب الْقَدَر. يُصبح ما حَلمنا به صغيراً، تافهاً، إذا ما تَعارض ذَلِكَ مَعَ أمْنَنا وحريتنا، سُلَّم الأولويات يتغير فجأة فلا يبقى إلّا أمل النَّجاة، ألهذا قال (سارتر) عن الأحلام والأماني: الأمل الْقَذِر!!

نهرب إلى بريطانيا فيما يُشبه رحلات النُّزهَة الْبحريَّة، عبر بحر الْمانش. نخرج بأرواحنا فقط تاركين آمالنا يأكلها الخطر، أحن لخبز أمي.؟

لم أنس أنْ أضع مفتاح الأستوديو فِي مظروف بصندوق بريد المغربية صاحبَة الْبيت.

أيُمْكن أن ننجح؟

أيمْكن أن نجد مِتْراسا مُتاحًا للبهجَة؟

إستدراك للمؤلف

- الرواية عمل متخيل،وبالمثل الشخصيات الروائية ليس لها وجود فى الحقيقة وإن كان من الممكن أن توجد فى الواقع.

- اما المؤتمر الإسلامى المذكور فى ثنايا الرواية فهو حقيقى، وكان تقليد فى التسعينات من مسلمى فرنسا، ولكنه لم يعد له وجود فى اواخر عهد ساركوزى وقت أن كان وزير داخلية فرنسا،وبالطبع اندثر وساركوزى رئيسالجمهورية فرنسا .

- فى الرواية توثيق عن إشكالية النقاب والحجاب فى فرنسا وهو واقع وقد يكون بأسواء مما زكرت، وقد وضعته داخل الرواية .

- القوانين الفرنسية داخل العمل لا لبس فيها ولاخلاف.

- قانون Loi Gayssot [جيسو أو غيسو]الفرنسى حقيقة ويعمل به حتى الأن.ويسمى من يقع تحت طائلته ب" جاسو "وله قوانين شبيها فى المانيا وامريكا وبعض الدول

- ماذكر بالرواية فيما يمس أى دين،موجود بتوسع وعمق فى كتب اللاهوت المسيحى والفقة الإسلامى،وفى ذلك أصعب ما تكتشف أن ما تتعاطف معه وجدانيًا ليس بالضرورة هو الصواب، فقد يكون وقد لايكون، وأن الصواب المطلق أحيانًا عسير المنال

رواية

المؤلف فى سطور

المؤلف فى سطور

الاسم : اشرف مصطفي توفيق محمد

وشهرته اشرف توفيق

البريدالاليكتروني :Ashraftawfik11@gmail.com

الجنسية :مصرى

(حاصل على الدبلوم العالي للدراسات الإسلامية بامتياز 1984م – حاصل على ماجستير قانون "جيد جدا" 1988م– عضو أتحاد الكتاب 1995م، عضو أتيليه القاهرة1999م – دراسات فى التنمية البشرية2000)

اهم مانشره:

– المعارضة (جزئيين) حاصل على جائزة سعاد الصباح للدراسات الإنسانية 1988م (طبعتان)

– حريم فى حياة الزعيم سعد زغلول "الثورة التى ايدها الحرملك" حاصل على شهادة تقدير من مركز بحوث– حزب "الوفد"

- رواية مملكة الجنة:عن إيتراك للطباعة والنشر- ط-20101 ط20142 وصلت للمستوى القممى[افضل 18 رواية] فى جائزة"ابو القاسم الشابى-تونس-2011 دورة الرواية"

- نوفيلا"رواية قصيرة":الماح..فازت بجائزة بمسابقة "التكية الآدبية" الالكترونية ..ونشرت بمجلة (الكلمة – اللندنية- العدد92)

- بنات الأصول..والمخدرات: حصل على شهادة تقديرمن "الجمعية المصرية لتوعية الأسرة للوقاية من الإدمان" والمعروفة بـ (برايد- مصر) الجمعية المصرية لمكافحة الأدمان

فهرس المحتويات

الجزء الأول

الفصل الأول 8

الفصل الثانى 24

الفصل الثالث 44

الجزء الثانى

الفصل الأول 63

الفصل الثانى 78

الفصل الثالث 84

الجزء الثالث

الفصل الأول 94

الفصل الثانى 98

الفصل الثالث 110

إستدراك للمؤلف 116

المؤلف فى سطور 118